الأمة الجزائرية بين الأصالة والحداثة

The Algerian Nation between Authenticity and Modernity

حمزة فرطاس[*1]، أ.د السعيد رحماني[2]

1جامعة الجزائر1، كلية العلوم الإسلامية، مخبر مناهج البحث والتقويم في العلوم الإسلامية ومقاصدها ومسالك تقويمها (الجزائر)

fertas@univ-alger.dz.h

[2]جامعة الجزائر2، (الجزائر)

said.rahmani@univ-alger2.dz

تاريخ الارسال: 2026/05/19 تاريخ القبول: 2026/06/20 تاريخ النشر: 2026/06/30

ملخّص:

يركّز هذا البحث على قضيّة غاية في الأهميّة متعلّقة بأصالة الأمّة الجزائرية والتأكيد على امتدادها التاريخي العريق، وأنها أمّة توفّرت فيها جميع مقومات الأمم، حيث ارتفعت أصوات كثيرة خلال فترة الاستعمار وبعده تريد إيقاع القطيعة بين حاضر الجزائر وماضيها، وتروّج لمفاهيم غربيّة استعمارية قصد رفع صفة الأمّة عنها أو إلحاقها بالأمّة الفرنسية، وأحيانا اعتبارَها أمّة حديثة النّشأة كان للاسعمار فضل في ظهورها ونشوئها. ومن هنا كان لزاما تسليط الضّوء على موضوع الأمّة وذكر آراء أهمّ الاتجاهات التي تناولت الموضوع من أجل دحض تلك الادعاءات، والتأكيد على كون الأمّة الجزائرية كانت حاضرة عبر مراحل التّاريخ، وأنّ لها كسائر أمم الدّنيا جميع المقوّمات التي تجعل منها أمّة متميّزة وغير محتاجة لأن تذوب في غيرها أو أن تفتخر بما لسواها من تاريخ وبطولات وقيم.

كما يبرز هذا البحث الارتباط الوثيق بين الجزائر ـ الأمّة ـ وغيرها من الأمم التي تشكّل الأمّة الإسلاميّة الكبيرة مشرقا ومغربا، حيث مثّل الإسلام رباطا أساسيّا شكّل لحمة أرست دعائم الأمّة الإسلاميّة رغم اختلاف الأعراق، وتباعد الأنحاء، وتعدّد اللغات.

[*] المؤلف المرسل.

ومن هنا لا يمكن بأي حال فصل الأمّة الجزائرية عن الأمّة الإسلامية الكبيرة، كما لا يمكن أن يُعتبر الإسلام عاملا ثانويّا في تشكيلها أو تماسكها أو في نهضتها، خاصة وأنّه لعب الدور الأساس في تشكيل المقاومة والتعبئة ضدّ الاستعمار ومقاومة كل محاولات الإدماج والتغريب.

الكلمات المفتاحية: الجزائر ؛ الأمّة؛ الأصالة؛ الاستعمار؛ الإسلام؛ التغريب.

Abstract :

This article focuses on a matter of utmost importance concerning the authenticity of the Algerian nation and emphasizing its deep historical continuity, demonstrating that it possesses all the components of a nation. During and after the colonial period, many voices sought to create a break between Algeria's present and its past, promoting Western colonial notions aimed at stripping the nation of its identity or merging it with the French nation, and sometimes portraying it as a newly formed nation whose emergence was credited to colonialism. Hence, it was essential to highlight the subject of the nation and present the views of the major schools of thought that addressed this issue in order to refute such claims, and to confirm that the Algerian nation has been present throughout historical stages, possessing, like all nations, all the elements that make it distinct and not in need of merging with others or taking pride in the history, achievements, and values of others. This research also aims to highlight the close connection between Algeria—the nation—and other nations that constitute the larger Islamic nation across the East and West, where Islam represented a fundamental bond that formed the cohesion that laid the foundations of the Islamic nation despite differences in race, distances, and multiple languages.

From this perspective, the Algerian nation cannot in any way be separated from the larger Islamic nation, nor can Islam be considered a secondary factor in its formation, cohesion, or revival, especially since it played a fundamental role in shaping the resistance and mobilization against colonialism and in resisting all attempts at assimilation and Westernization.

Keywords : Algeria; The Nation; Authenticity; Colonialism; Islam; Westernization.

1.مقدمة:

على مدى فترة طويلة من الزّمن وإلى اليوم مازال النّقاش في الجزائر يدور حول مسألة الهويّة وأبعادها التاريخية والدينية والثقافية، حتى أصبحت تمثّل تجاذبات شكّلت نوعا من الانقسام والصّراع الإيديولوجي بعد الاستقلال، ومازال هذا الانقسام يظهر من فترة لأخرى عند كلّ أزمة أو حدث متعلّق بأسس الهويّة للأمّة الجزائرية.

ورغم أنّ هذه المسألة لم تكن مطروحة للنقاش قبل دخول الاستعمار، لكون الإسلام كان حافظا لها من الذوبان في هويّات دخيلة، حيث بقي المجتمع الجزائري بكياناته المختلفة متماسكا وشكّل عبر التاريخ لحمة استطاعت أن تدافع عن مقوّماته الأساسية المتمثلة في الدّين والأرض و اللّغة، إلّا أنّها صارت مستهدفة بشدّة بعد دخول الاستعمار الفرنسي الذي أراد فصل الأمّة الجزائرية عن مقوّمات شخصيّتها من أجل ربطها بالأمّة الفرنسية وثقافتها.

إنّ تسليط الضّوء اليوم على قضية الهويّة والأمّة وبشكل خاصّ في بعدها الدّيني والتّاريخي يُعدّ أمرا ضروريًّا بسبب المغالطات الكثيرة التي روّجها الاستعمار، وحاول فرضها من أجل إحداث هوّة ثقافيّة وشقاق فكري داخل المجتمع الجزائري من خلال إعادة صياغة مفهوم "الأمّة الجزائرية" بشكل لا يتوافق مع المنظور الحضاري الإسلامي الأصيل، بل تعدّى الأمر إلى إنكار وجودها أصلا قبل الاحتلال، حيث روّج كثير من مؤرّخي الاستعمار الفكرة التي تَعتبر الاحتلال جالبا للحضارة ومخلّصا للجزائريين الذين كانوا يعيشون تحت قهر وسلطة المحتل العثماني، فلم يكن لديهم كيان ولا أمّة مستقلّة، حتى حرّرهم الفرنسيون، وتفضّلوا عليهم بإدماجهم في الحضارة.

إنّ قراءة التّاريخ تؤكّد بأنّ الجزائريّين على طول تاريخهم كوّنوا لحمة اجتماعية ظلّت تُشعرهم بوجود كيان لهم مستقلّ ومتميّز، " وكيف لا يشعرون بذلك وقد ربطت بينهم أواصر كثيرة... وآلام وآمال مشتركة، وأرض ذات حدود واضحة... كيف لا يشعرون بذلك، وهم دائما في حالة استنفار لمواجهة الخطر الدّاهم من أوربا"[1].

لقد ظهرت في هذا السياق نخب تنتسب إلى الشّعب الجزائري تأثّرت بالثقافة الفرنسية راحت تتبنّى المشروع الفكري الاستعماري، وتروّج لأكاذيبه، وتقول: " بأن الاستعمار أمر حتميّ قد تفرضه الخطّة السّياسية أو الحكمة الإلهية"[2]، ممّا دفع تلك النّخب لأن تؤيّد سياسة الاندماج والذوبان في المجتمع الفرنسي، بل وصل الأمر إلى ظهور فئة من الجزائريين في مرحلة من المراحل لا تؤمن بوجود بلد اسمه الجزائر، ولا شعب اسمه الشعب الجزائري[3].

هذا التنكّر لوجود الأمّة الجزائريّة وأصالتها يعتبر مغالطة كبيرة مازال أحفاد المستعمرين يكرّرونها إلى اليوم، وعلى أعلى مستويات القيادة السّياسية، حيث يقول " إيمانويل ماكرون" الرئيس الفرنسي متسائلا : ''هل كانت هناك فعلا أمّة جزائرية قبل الاستعمار الفرنسي؟"[4] .

إشكالية البحث:

تكمن إشكاليّة هذا البحث في ضرورة إدراكنا للعمق الحضاري لأمّتنا الجزائريّة، والتّأكيد على أصالتها وأنّها متجذّرة في التّاريخ، ممّا يتيح لنا الرّد على تلك الأصوات التي تسعى إلى قطعِ الصّلة الوثيقة بين الأمّة الجزائرية ومرجعيّتها الثّقافية القائمة على الإسلام، وهذا ما يدفعنا لطرح سؤال رئيسي مفاده: كيف أسهم الاستعمار في إعادة صياغة المفاهيم، وتشويه مفهوم "الأمّة" الأصيل؟ وإلى أيّ مدًى كان هذا التّشويه سببًا في حدوث أزمة متعلّقة بالهويّة؟

ويمكن أن يتفرع عن هذا السّؤال مجموعة من الأسئلة منها:

ما هي الدّوافع الفكرية التي دعت إلى اعتبار أنّ الجزائريين لم يعرفوا مفهوم "الأمّة" إلا بعد دخول الاستعمار؟ وما محلّ الجزائر وموقعها في كيان الأمّة الإسلاميّة العريقة؟ وما هو تصوّر الفكر الإسلامي المعاصر لمفهوم "الأمّة" في مواجهة تحديات التجزئة السّياسية؟ وكيف يمكن أن يتحوّل الخلاف حول مفهوم "الأمّة" من رابطة ثقافيّة جامعة إلى فضاء للصّراع ؟

الدراسات السابقة:

هناك دراسات كثيرة اهتمت بموضوع "الأمّة" في سياقات مختلفة، سواء تعلّق ذلك بدراسة المفهوم وفق تصوّرات مختلف الاتّجاهات الفكرية والإيديولوجيّة، أو تعلّق بتأثير هذا المفهوم في الجوانب الثّقافية والسّياسية.

من أهم الدّراسات التي لها صلة ببحثنا والتي اهتمّت بمفهوم "الأمّة" بشكل عام، وبمفهوم "الأمّة الجزائرية" على وجه الخصوص ما يلي:

1 ـ الجزائر الأمّة والمجتمع: لمصطفى الأشرف، الذي تطرق فيه إلى بيان عمق الكيان الجزائري وقدرته على الصّمود أمام زحف الاستعمار ومحاربة مخطّطاته، مما ولّد الحسّ الوطني لدى الجزائريين وأبقاهم متميّزين عن الفرنسيين رغم طول مدّة الاحتلال. كما يستعرض مختلف التّحديات، والمحطّات، والاتّجاهات الثّقافية التي أسهمت في توجيه وتشكيل المجتمع الجزائري الحديث. كما نلمس في هذا الكتاب رؤية الكاتب الفكريّة التي تركز على تحليل الصراع الطبقي داخل المجتمع الجزائري وفق منظور اشتراكي.

2 ـ مفهوم الأمّة في الفكر العربي المعاصر وأثره على الواقع الثقافي والسياسي: وهي أطروحة دكتوراه في الفلسفة للباحث: حواس محمد، بجامعة: " أبو القاسم سعد الله الجزائر 2"، تم مناقشتها سنة 2016م. وقد تطرّق فيها الباحث إلى موضوع "الأمّة" بشكل واسع، حيث تناول مفهوم الأمّة العربية، وركّز على الحركة القومية وتطوّرها. كما بيّن نظرة أهمّ الاتجاهات إلى هذا المفهوم وهي: التيّار القومي العلماني، والتيّار البعثي الاشتراكي، والتّيار الإسلامي، وبيّن آثار اختلاف هذه الرّؤى على الواقع السياسي و الثقافي في العالم العربي.

3 ـ تكريس الثّورة التحريريّة لمفهوم الأمّة الجزائريّة: للأستاذ معماش النّوي: مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس بسطيف، حيث درس تاريخ نشوء الأمّة الجزائرية، وربط بشكل وثيق بين مفهوم "الأمّة" و" الوطنية"، حيث يميل في بحثه إلى أنّ الجزائريين لم يشعروا بأنّهم جزائريّون قبل الاحتلال، بل كانوا متشبّعين بالشّعور الدّيني فحسب أي انتمائهم إلى الأمّة المحمدية. أمّا بعد الاحتلال فيرى أنّهم بقوا بدون حسٍّ وطني إلى غاية

ظهور الحركة الوطنية التي أشعرتهم بكيانهم الوطني ـ الجزائر ـ وكانت رائدا لاندلاع الثورة التحريرية التي مّكنتهم من تحرير الأرض وتحقيق السّيادة عليها. وهنا نجد أنه يقترب في تعريفه للأمّة من المفهوم الحديث الذي يرتبط أساسا بمفهوم القوميّة والوطنيّة.

4 ـ الأسس الثّقافيّة للأمّة الجزائريّة: وهو مقال للمؤرّخ الجزائري محمد حربي، في مجلة إنسانيات، والذي تطرّق فيه إلى مكانة الدّين وأسبقيّته ودوره في المسيرة النّضالية التي مرّت بها الجزائر من أجل تحقيق كيانها المستقل عن فرنسا، كما سلّط الضّوء على السّجال الثّقافي والخلاف الذي ساد حول مركزيّة الدّين في مشروع الأمّة الجزائرية، مع ظهور توجّهه الاشتراكي ونقده لكثير من التوجّهات والرؤى التي تبناها التيار الإسلامي.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث أساسا على المنهج الوصفي التّحليلي، حيث يسعى إلى بيان مفهوم الأمّة وفق نظرة مختلف الاتّجاهات الفكريّة، ثمّ القيام بعملية التّحليل لبيان أثر هذا الاختلاف في بلورة التصوّرات المختلفة حول مفهوم "الأمّة الجزائرية"، وبيان ما يترتب على ذلك من آثار في الجانب الثقافي وحتى السّياسي.

أهمية البحث:

إنّ دراسة مفهوم الأمّة، وبيانَ محدّداته، وذكرَ أهم الاتجاهات والخلفيات الثّقافية التي بلورت هذا المفهوم، يمكنها أن تعطينا صورة واضحة عن أصول السّجال الثّقافي الذي شهدته الجزائر بعد الاستقلال، و توضّح لنا حجم الهجمة التي تعرّض لها الشعب الجزائري من أجل حَرفه و إبعاده عن أصالته و قطعه عن انتمائه الحضاري الإسلامي، الذي يُراد حصره ضمن نطاقِ ثقافةٍ شعبيةٍ لا غير. وستُتيح لنا الفرصة أيضا من أجل تصحيح المفاهيم حول مصطلح "الأمّة" الذي أوردته "دائرة المعارف الإسلامية" التي هي عمل من أعمال المستشرقين العلميّة، حيث تعرّض للتحريف، وتمّ إفراغ محتوى هذا المصطلح وإبعاده عن مضمونه الإسلامي وإعطاءه مفهوما اجتماعيا لا علاقة له بالإسلام لا من الناحية النظرية ولا من الناحية التّاريخية الواقعية.[5]

إنّ هذا الاستكشاف لمفهوم " الأمّة" سيزيح عن هذا المصطلح ركاما من التّشويه والتقزيم الذي أصابه، ممّا تولد عنه إذكاء كثير من النعرات الطائفية والعرقية والقبلية والقُطرية وتشجيع النزعات الانفصالية لتجزيء المجزّأ، وهو الخطاب السائد اليوم الذي تهوي إليه أفئدة القوميات[6]، والذي يُستغل من أطراف مغرضة من أجل ضرب وحدة الأمم وتقسيمها على أسس عرقية أو إثنية.

أما الجديد في هذه الدّراسة فهو تركيزها على الدّين كعامل أساسي مكوّن لهويّة "الأمّة الجزائرية"، واعتباره حلقة الوصل التي تربط الجزائر بتاريخها ومحيطها العربي والإسلامي، بخلاف الدراسات الأخرى التي تجعل الدّين عاملا ثانويا وتركّز على القوميّة والوطنيّة. بالإضافة إلى بيانها لمدى انعكاس المفاهيم الفكريّة على الممارسات الثّقافية والسّياسية، وبشكل خاصّ ارتباط تصوّر مفهوم "الأمّة الجزائرية" بالموقف من الاندماج في فترة الاحتلال، والموقف من مشاريع التّغريب.

2: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للأمة:

2. 1 ـ المفهوم اللغوي لمصطلح " الأمّة":

يُرجع ابن منظور أصل اشتقاق لفظ " الأمّة " إلى الجذر اللغوي " أمم"، ومنه يرى أن لفظ "الأمّة" له معان متعدّدة منها: القرن من الناس، يقال: قد مضت أمم أي: قرون. وأمّة كل نبيّ: من أُرسل إليهم من كافر، وكلُّ جيل من الناس هم أمّة على حدة، وكل جنس من الحيوان غير بني آدم أمّة على حدة. والأمّة: الجيل والجنس من كل حيّ. وفي التنزيل العزيز: " وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم". والأمّة: الرجل الذي لا نظير له.

كما يرى أن أصل هذا الباب كلّه من القصد. يقال: أممت إليه إذا قصدته. فمعنى الأمّة في الدّين أنّ مقصدهم مقصد واحد، ومعنى الأمّة في النعمة إنما هو الشيء الذي يقصده الخلق ويطلبونه، ومعنى الأمّة في الرّجل: المنفرد الذي لا نظير له. قال ابن القطاع: الأمّة الملك، والأمّة أتباع الأنبياء، والأمّة الرجل الجامع للخير، والأمّة الرّجل المنفرد بدينه لا يشركه فيه أحد، والأمّة القامة والوجه.[7]

وقال الراغب الأصفهاني في بيان معنى الأمّة: " الأمة كل جماعة يجمعهم أمر ما إما دين واحد وإما زمان واحد أو مكان واحد".[8]

ويمكن تصنيف المعنى اللغوي إلى أربعة مجموعات هي كالتالي: الأمّة بمعنى الجماعة، والأمّة بمعنى الدّين والملّة، والأمّة بمعنى الرّجل الجامع للخير، والأمّة بمعنى الزّمن والسنين.[9]

2.2 ـ المفهوم الاصطلاحي للأمة:

لا يمكن إيجاد مفهوم واحد متّفق عليه حول مصطلح الأمّة، بل سنجد عدّة اتّجاهات تتبنّى مفهوما خاصّا تبعا لمرجعيّتها التّاريخية أو الإديولوجيّة، وبالتّالي لن نتمكن من توحيد الرّؤى حول هذا المدلول الذي تنبني عليه آثار سياسيّة واجتماعية وثقافيّة واضحة المعالم خاصّة في العصر الحديث الذي تطوّر فيه المفهوم ليصبح مفهوما سياسيّا أكثر من كونه

مفهوما اجتماعيًّا أو عرقيًّا ، وهذا التّطور اتّجه نحو جعل حريّة الانتماء ومشيئة العيش المشترك الجامعةَ الفضلى التي تكوّن الأمّة، ولذا فمن الضروري طرح رؤية أهمّ الاتجاهات الفكرية لمفهوم الأمّة ليتجلى لنا أثَر ذلك الاختلاف على السّجال الثّقافي المطروح في الجزائر.

2.2.أ ـ الاتجاه التاريخي لمفهوم الأمة:

يرى كثير من المفكّرين المعاصرين من الغربيّين أنّ الأمم لم تظهر إلا في العصر الحديث، وأنّه لا وجود لها قبل عصر الحداثة، ويرون أنّ الثّورة الفرنسية هي الفاصل في قضية التّأريخ للأمم، وبالتالي لا يعتبرون الكيانات السّياسية والعرقية التي كانت في العصور الغابرة "أمما" حتى ولو اتّحدت في الأرض وشكّلت رباطا قوميًّا وثيقا، أو كوّنت سلطة سياسيّة لها نفوذها وهيمنتها، وفي هذا الصّدد يقول المفكر الفرنسي إرنست رينان: " على هذا النّحو، تكُون الأمم شيئا جديدا على التّاريخ لم يعرفها الزّمن القديم، إذ لم تكن مصر والصين وكلدة القديمة أمما بأيّ درجة كانت. لقد كانت بمثابة قطعان يقودها ابن للشّمس وابن للسّماء. لم يكن هناك مواطنون مصريّون كما لا يوجد مواطنون صينيّون. لقد شهد العهد الكلاسيكي القديم جمهوريات وممالك بلدية، كونفيدراليات لجمهوريات محليّة، امبراطوريات؛ لكنّه (العهد القديم) لم يعرف الأمّة بالمعنى الذي نفهمه"[10].

فالمجتمعات القديمة على رأي المؤرخين الحداثيين هي مجتمعات بدائيّة غير مؤهّلة لتكوين الأمّة بمفهومها الحديث، حيث يرى هؤلاء أن الارتباطات البدائية المتعلّقة بالقرابة والعرق والدّين والعادات واللّغة والأرض لا يمكنها وحدها أن تثبت وجود الأمّة، ولذلك فهم " يميلون إلى قياس مستوى " الأمّة" بمقياس " الدّولة الحديثة" وذلك فقط من أجل إنكار وجود الأمم في فترة تلك المجتمعات"[11].

وهذا فيه تجنّ كبير على الحقائق التاريخية، " فإنّ كلّ الأمم... هي ظواهر متكرّرة الحدوث، بمعنى أنّها نماذج من المجتمع الثّقافي و التنظيم السّياسي الذي يمكن أن يوجد في كل فترة وفي كل قارة، والمعرّضة لمدّ وجزر لا يتوقفان، فتظهر تارة وتزدهر، ثم تتدهور وتختفي مرّة أخرى" [12].

ولنا في التّاريخ أمثلة كثيرة على أمم قد تكوّنت على أساس عرقيّ أو عهد دينيّ، أو حتى على شكل سياسيّ، " فمع كلّ حقبة يمكننا أن نتوقع اختلافات مهمّة في سمات الأمم" [13].

إضافة إلى هذا فإن مصطلح الأمّة كان متداولا، و له مدلول يشترك في جوانب كثيرة مع المدلول الحديث في كون الأمّة عبارة عن جماعة يجمعها التاريخ واللّغة والدّين والأرض والعادات والتّقاليد، فيما يتميّز المفهوم الحديث للأمّة بتغليبه للجانب السّياسي وسيادة الدّولة ـ باعتباره الحلقة الأساسية في تكوين الأمّة وتميّزها عن غيرها من الأمم ـ بل ويربطها أساسا بمفهوم الدولة الحديثة. وعلى هذا الأساس فإن الأمم في الأزمنة القديمة بقيت تَعتبِر " العناصرَ الاجتماعية والثّقافية والدّينية ذات تأثير وأهمية أكبر في الغالب من الأبعاد والتصوّرات السياسية المفضّلة عند الغرب" [14]. ولعلّ التّعريف الذي نستطيع أن نصف به الأمّة في هذا النسق التاريخي هو كونها: " نوعا تاريخيّا من المجتمعات البشريّة، يتميّز إمّا بهويّة ثقافيّة جمعيّة، أو هويّة سياسيّة جمعيّة، أو كلتيهما معا"[15] .

من خلال هذا السّرد يتسنى أن نفهم دوافع تلك الحملة المسعورة التي شنّها مفكّرون ومؤرّخون وساسة فرنسيّون من أجل رفع وصف الأمّة عن الجزائر وشعبها وحضارتها باعتبارها ـ حسبهم ـ لم تكن ذات سيادة واستقلال، وأنها لم تدرك القيم السّامية لمعنى الأمة المتمثّلة في المواطنة والمشاركة الجماعية في إدارة الدولة وغيرها، كونها ـ على حدّ قولهم ـ كانت عبر مراحل التاريخ تابعة لهيمنة أجنبية.

2.2.ب ـ الاتجاه القومي:

يمكن تعريف الحركة القوميّة على أنّها " حركة إديولوجّية للحصول على الاستقلال الذّاتي والوحدة والهويّة والحفاظ عليها" [16]، هذه الحركة ظهرت في أواخر القرن الثّامن عشر، وبالتحديد بعد الثّورة الفرنسيّة التي أتاحت للشّعوب المقهورة في أوربا لأن تبحث عن الجامع المشترك الذي يمكن من خلاله تكوين لحمة اجتماعية تستطيع إقامة وحدة سياسيّة متميّزة ذات سيادة، وهذا الجامع المشترك يتمثّل في "صلة القرابة". فالأمّة من منظور القوميّين " مؤسّسة على اعتقاد أفرادها أنّ بينهم صلات قرابة تعود إلى سلف مشترك"[17].

وتعتبر الثّورات السياسية التي ظهرت كنتيجة لحركات التّنوير التي نتج عنها نضوج الوعي السّياسي لطبقات الشّعب في أوربا، وكذا الحركات التحرّرية ضد الاستعمار الأجنبي في الدول الضّعيفة محفّزا قويّا لظهور الأمم القوميّة، حيث تساعد هذه الظروف في توحيد النّاس وجمعهم تحت ظلّ القوميّة ورابطة الدّم لمواجهة الظّلم والاستبداد، أو مدافعة الدّخيل الأجنبي، " ومن ثمّ أدّت حالة السّخط الناجمة عن ذلك إلى أن يبحثوا في القومية عن حلّ سياسي يمتدّ لألاف السنين، وكانت النّتيجة مناشدات من موجات متعاقبة من المفكّرين القوميّين لجماعاتهم التي يشاركهم أفرادها نفس الثّقافة من أجل تكوين الأمّة السياسية" [18].

إنّ أهم عامل من العوامل التي تبعث وتؤسّس للفكر القومي هو قضيّة "الشّعور بالانتماء"، ممّا يحتّم عليهم ضرورة الاجتماع والاتّحاد من أجل تحقيق الاستقلال والمحافظة على كيان الجماعة كوحدة متميّزة بعاداتها وتقاليدها وخصوصيّاتها، في مواجهة الدّخيل الذي يحاول الاعتداء على أرضهم أو طمس خصوصياتهم ،" فمنذ الثّورة الفرنسيّة حرّضت أفكار السّيادة الشّعبية واعتبار حكم الأجنبي حكما غير شرعيّ جماعات عرقيّة متعاقبة على التطلّع إلى تكوين أمّة مستقلة". [19]

ويركّز جانب آخر من القوميين على عنصر "الهدف المشترك" كأهمّ عنصر يعمل على ظهور الأمّة، خاصّة إذا كان هذا الهدف موجّهًا نحو جماعة خارجيّة، لأنّ القوميّة كما يراها أصحاب هذا الرّأي هي بالأساس شكلٌ من أشكال الاحتجاج. ويدعم هذا الفريق رأيَه بالإشارة إلى حقيقة كون العديد من القوميّات الحديثة تكوّنت أثناء حركة المقاومة لاستعمار مستوطن، أو حتى في مواجهة أحد أشكال الاستعمار الجديد، [20]ولهذا نرى الحركات القومية تظهر وتشتدّ في حال ظهور النّزاعات والحروب، كما حدث بعد الحرب العالمية الأولى من ظهور النّازية، وبعد الحرب العالمية الثانية من ظهور الحركات التّحرّرية، والحركات الانفصالية، التي أدت إلى تكوّن كثير من الأمم القومية الحديثة التي تشكّلت على خلفيّة عرقيّة، واكتسبت بَعدها وحدة سياسيّة متمثّلة في شكل دولة مستقلّة.

إنّ هذه الحركات القوميّة التي تشكّل أمما قوميّة ـ من منظور الفكر الغربي ـ هي ظاهرة جماهيريّة[21] تقوم أساسا على عوامل ثلاثة: الهويّة القوميّة، الشّعور بالانتماء، ووحدة الهدف والمصير.

وهنا تبرز قضيّة أخرى تتداخل مع عناصر القوميّة الثّلاث، وتعتبر مؤسسا ومحفّزا لها في نفس الوقت، ألا وهي قضية التاريخ، فالبعد التاريخي لدى القوميّين حاضر في مشهد قيام الأمّة، حيث يركّز هؤلاء على التاريخ باعتباره العامل المشترك الموحّد لهم، ولذا تراهم يحرصون على إحياء القضايا التاريخية والحوادث الموغلة في القدم حتى ولو كانت مجرد أساطير وذلك بهدف إيجاد أرضية تاريخية تلتقي فيها هذه الفئة من الناس، من أجل توحيد النّضال وبعث الحميّة القوميّة لدى الأتباع لدفعهم إلى التّضحية في سبيل تحقيق الوجود والاستمرارية التّاريخية. ولهذا أمثلة كثيرة منها: قضية مجازر الأرمن، والكيان اليهودي في فلسطين الذي ينبش التّاريخ لإيجاد أيّ صلة بالوجود التاريخي لليهود في فلسطين لتبرير عدوان الحركة الصهيونية الاستعمارية.

وبالمختصر: تُعتبر الأمّة لدى القوميّين قائمة أو قابلة للقيام إذا توفر لديها ما يلي:

1. ـ روابط النّسب (السّلالة العرقية).
2. ـ ثقافة محليّة أصيلة في الأرض والشّعب من ناحية اللّغة والتقاليد والدّين والفنون.
3. ـ الافتخار بتاريخ الأمّة وتاريخ السّكان الأصليّين.
4. ـ الحشد الشعبي: عن طريق إثارة الشّعب وتحفيزه لخلق ثقافة وطنية وكيان سياسي.[22]

إنّ فكرة قيام الأمّة القوميّة بشكلها المتطرّف الذي يركّز على السّلالة ونقاء العرق[23]، قد ولّد حروبا وأزمات وصراعات لا زالت مستمرّة إلى اليوم، وهي بذرة خبيثة لانقسام محتمل داخل مجتمعات ودول قائمة اليوم وذات سيادة، بسبب اللّعب على وتر القوميّة والعرق والأقليات الذي يغذّي الحركات الانفصاليّة، والأمثلة كثيرة خاصة في دول شرق أوربا مثل تشيكوسلوفاكيا، وألبانيا، وصربيا، وفي جنوب شرق آسيا مثل: ميانمار التي يحدث فيها تطهير عرقي ممنهج، وفي إفريقيا مثل السودان والكونغو الديمقراطية، واليوم نراها في سوريا ممثلة

بشكل خاص في الأكراد الذين يسعون إلى تكوين حكم مستقل يجمع العرق الكردي. أما في الجزائر فيريد البعض أن يلعب على قضية العرق من أجل إحداث انقسام داخلي تحت مسمى " الاستقلال"، و هو ما تدعو إليه بعض الأصوات مستغلة في ذلك العرقيّة البربريّة.

2.2.ج ـ الاتجاه الحداثي:

يَعتبر أنّ "الأمّة" ظاهرة حديثة تماما، ظهرت كردّة فعل على الهيمنة الدّينية والإقطاعية التي انتشرت في أوربا في القرون الوسطى، وبالتالي فالأمة هي نتاج الانقلاب الذي حدث في ظلّ الثّورة الصّناعية التي استطاعت أن تغيّر المفاهيم فيما يخصّ الدّين والكهنوت الكنسي، واستطاعت أن تتمرّد على الأنظمة المستبدّة من جهة أخرى، وهذا بفضل نشر الوعي لدى عامّة الشّعب الذي كان مغيّبا في عصور الظلام واقتصر دوره على جانب الفلاحة و الحرف اليدويّة، فيما حُرم من المشاركة السّياسة والحركة الفكريّة. وبالتالي فإن ظهور الطّباعة وانتشار الكتب سمح لهذه الطّائفة بأن تتطلّع للمشاركة في الحركة الثّقافية التي كان يحتكرها الأثرياء[24]، مما سمح بظهور الاحتجاجات والمعارضة التي استطاعت أن تفجّر الثّورة، وتدفع الشّعوب نحو التحرّر والسّيادة، وتنعتق من الشّكل التّقليدي للنظام السّياسي والاجتماعي. وهكذا بدأت بوادر تشكّل الأمّة الحديثة بمفهومها القائم على إشراك الجميع في نهضة الأمّة وتطوّرها.

وقد سبق لنا الإشارة إلى أن هذا المفهوم يغلّب الجانب السّياسي الذي يجمع أفراد الشعب تحت راية واحدة وهدف مشترك، وبالتالي يكون مفهوم الأمّة الحديثة أقرب إلى مفهوم الدّولة، التي يمكن أن تقوم على أساس عرقي أو قومي ذي تاريخ مشترك وضمن حدود تسعى إلى المحافظة عليها والدفاع عنها بكل قوة، ومن جانب آخر يمكن أن تكون الأمّة ـ الدّولة ـ قائمة على أعراق متعدّدة داخل مساحة جغرافية، بحيث تتلاشى الفوارق الإثنية داخل هذه "الأمّة" التي يحكمها قانون يقوم على مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات.

وتبرز هنا قضيّة الانتماء والولاء للأمّة كشكل من أشكال الاتّحاد والتّرابط الذي يحمي كيانها من الاندثار أو الانقسام، يقول رينان: "جوهر الأمّة يكون في وجود الكثير من الأشياء المشتركة بين سائر أفرادها، وبأنّ سائر هؤلاء الأفراد قد نسو العديد من الأشياء".[25]

ويقول كذلك: " الاعتبار الإثنوغرافي لم يكن له أي اعتبار في تكوين الأمم الحديثة"[26]. ولذا فإن مفهوم الأمّة لدى هؤلاء " لا يمكن أن يكون مشتقا ببساطة من إيديولوجية القومية"[27]،

وكتلخيص للمفهوم الحداثي للأمّة نجد أنه يقوم على عدّة أسس هي:

1. إقليم واضح المعالم ، ذو مركز ثابت.
2. نظام قانوني موحّد، ومؤسّسات قانونية مشتركة.
3. مشاركة من قبل المواطنين في الحياة الاجتماعية والسّياسية.
4. ثقافة عامّة جماهيرية تنشر من خلال نظام تعليمي جماعي موحّد.
5. حكم ذاتي جماعي موحّد في دولة إقليمية ذات سيادة لأمّة معينة.
6. عضوية الأمّة في نظام دولي لمجتمع الأمم.
7. إقرار شرعية الأمّة من خلال إديولوجية القومية. [28]

هذا المفهوم ـ كما سبقت الإشارة ـ يتداخل بشكل كبير مع مفهوم الدّولة الحديثة، وبالتالي يؤكّد على عدم وجود أمّة تتجاوز حدود الدّولة وتوجّهاتها مما يضعنا أمام إشكاليات كبيرة متعلقة بنتاج الحركات الاستعمارية التي وضعت حدودا وهمية استطاعت أن تقسم كيانات سياسيّة كبيرة تناغم فيها السّكان على مدى آلاف السّنين، فهل يمكننا تقبّل أنّ هذه الحدود السّياسية قادرة على إعادة تشكيل الأمم من جديد تحت ظل "المواطنة"؟، وهل الجامع المشترك بين هذه الدول الحديثة قادر على إبقائها تحت سقف الأمّة الكبير؟ .

هذه أسئلة لا يمكن تجاهلها، ولابدّ من الإجابة عليها خاصة في منظومتنا العربيّة والإسلاميّة التي تُعتبر من أكثر المتضرّرين من الحملات الاستعماريّة وأهدافها الرّامية إلى إضعاف كيان الأمّة الإسلاميّة عن طريق تفتيت الوحدة السياسيّة للمسلمين، أو عن طريق ضرب الوحدة المعنوية القومية المتمثلة في العروبة، وأخطرها وأكثرها ضررا ضرب الوحدة الإسلامية التي تربط الشعوب مع بعضها برباط عقدي وثيق، تذوب معه كل الفوارق الاجتماعيّة والعرقية واللغوية وحتى السّياسية.

2.2.د ـ الاتجاه الإسلامي:

إنّ غياب المفهوم الإسلامي للدّولة الذي يقوم على أساس "الخلافة "، كجامعة تضمّ جميع المسلمين تحت نظام سياسي موحّد، ولو بشكل صورى وشرفي، كما كان الحال في عهد الدّولة العباسية أو الدولة العثمانية حتّى في مراحل الضعف، قد أسهم بشكل كبير في نشر مفهوم الأمّة على النّمط الحداثي في أغلب بلدان المسلمين، وبالتّالي تتكلم كثير من النخب الفكريّة والسياسيّة اليوم في بلاد المسلمين عن أمم متعدّدة مختلفة ـ وهي ما يعبّر عليه بالدول ذات السّيادة ـ متجاهلة الرابطة الدّينية الإسلاميّة، إذ يعتبرونها شيئا ثانويًّا نظرا لتأثّرهم بالفكر العلماني الحديث، الذي يُقصي الدّين ويجعله عاملا هامشيا في ظهور الأمم وتكوّنها. فالرّؤية الحداثيّة الغربيّة للأمّة تنظر للدّين على أنّه لا يمكن أن يكُون أحد مقوّمات الأمّة، " وسبب ذلك ظهور حركات الإصلاح الدّيني في الغرب التي مزّقت الإمبراطورية الرومانية المقدّسة إلى دول قوميّة أو أمم مستقلّة، ولعلّ تلك كانت آخر محاولة للإبقاء على دين واحد للأمة"[29].

إضافة إلى ذلك فإن الثّورة العلميّة التي ظهرت بقوّة في أوربا، وموقف الكنيسة وتعاملها تجاه هذه النّهضة أعطى انطباعا سلبيا عن الدّين لدى الفئة المثقّفة والمفكّرة، فراحت تحارب كل ما يمتّ إلى الدّين بصلة بحجّة أنّه عامل مثبّط للتطور والتقدّم، واعتبرته عاملا من العوامل التي تفرّق ولا تجمع، خاصّة بعد الانقسام الذي حدث داخل الكنيسة وما أتبعه من صراعات دينية، لأنه حسب رينان " لم تعد هناك جماهير لأمة واحدة تؤمن إيمانا موحدا"[30]. فالدّين عند هؤلاء أصبح له معنى تاريخي وثقافيّ، وأصبح ممارسة اجتماعية تخضع لاختيار الفرد ومشيئته ولا تتحكّم في الأمّة. لكن في المقابل يرون أنّه لا يمكن إهماله بالكليّة، "لكون العلاقة بين الدّين والذّكريات والتّقاليد القوميّة متداخلة ومعقّدة لا يمكن فصلها، ولذلك نرى الأمم المعاصرة وإن كانت علمانية فإنها ممزوجة بالمعاني المقدّسة" [31] .

واليوم نرى هذا الخلط بين المفاهيم العلمانيّة والتوجّهات الدّينية على وجه الممارسة لا التنظير في الدّول الحديثة الغربيّة التي ما زالت تحتفظ بالإرث الدّيني النّصراني، وتستنجد به عند الحاجة من أجل لمّ الشّمل أو تجاوز الأزمات التي تريد العصف بوحدة الدّول، وتستعمله كذلك في حال الحروب مع الأمم الأخرى من أجل تعبئة الشّعوب لتحقيق مكاسب عسكريّة، وهذا ما صرّح به الرئيس الأمريكي "جورج بوش الإبن" في بداية العمليّة العسكرية على أفغانستان والعراق حيث قال أنها حملة صليبيّة مقدّسة.[32]

ثمّ إن قضيّة تجاهل الدّين في هذا السياق لا يمكن تعميمها على الأمّة الإسلامية التي تعتبر الدّين رابطة أساسيّة استطاعت أن تفرض حضورها التّاريخي والاجتماعي، فالدّين يشكّل جسر ترابط متين بين مختلف القوميّات والشعوب التي اعتنقت الإسلام، إلا أنّ " هناك محاولات جادّة لتفريغ مصطلح الأمّة من مضمونه الإسلاميّ وإعطائه مفهوما اجتماعيا لا علاقة له بالإسلام لا من الناحية النّظرية، ولا من النّاحية التّاريخية الواقعيّة"[33]، حيث تصوّر الدّين بشمولية، وتجعل الإسلام في منزلة واحدة مع النصرانية أو البوذية أو غيرها من الديانات الوثنيّة التي لا ترتقي إلى مستوى الفكر أو قوة التّأثير الذي يمتلكه الإسلام.

إنّ المفهوم الإسلامي للأمّة متولّد أساسا من المفهوم القرآني الذي يقوم على أساس الاجتماع، فالأمّة كما سبق هي الجماعة، وهي الرّجل الجامع للخير، وهي المدّة من الزّمن، وجاءت لفظة "الأمّة" في القرآن الكريم باعتبارها جماعة تشترك في خصائص معينة، فالتّهانوي يرى أنّ الأمّة " جمع لهم جامع من دين أو زمان أو مكان أو غير ذلك وتطلق تارة على كل من بُعث إليهم نبي، ويسمّون أمّة الدّعوة، وأخرى على المؤمنين به وهم أمّة الإجابة" [34]، بحيث تجمعهم أفكار وتوجّهات واعتقادات تشكّل هويّتهم، وتميّزهم عن غيرهم.

ويعرّف الشيخ رشيد رضا الأمّة بأنها: " الجماعة الذين تربطهم رابطة اجتماع واحد يُعتبرون بها واحدا، وتسوّغ أن يُطلق عليهم اسم واحد"[35]. ويرى سيّد قطب أن الأمّة" هي الجماعة التي تنتسب إلى عقيدة واحدة من كل جنس ومن كل أرض وليست هي الجماعة التي تنتسب إلى جنس واحد أو أرض واحدة"[36].

ومن التعريفات ما يذهب إليه توحيد الزهيري الذي يرى أنّ " الأمّة هي جماعة من الناس يوحّد بين أفرادها دين يؤمنون بعقائده ويلتزمون بعباداته وتشريعاته، ومن ثمّ فهو يصبغ حياتهم الاجتماعية في شتى تجلياتها بصبغة الذّاتية، أي يعطي الجماعة هويّتها الحضارية التي تجعل منها أمّة، أي جماعة لها رؤيتها الذاتية إلى الكون وطريقتها الخاصة في ممارسة الحياة"[37].

فالتّركيز في هذا المفهوم قائم على أمرين مهمّين هما: الجماعة والاتّحاد والاندماج، والثاني: هو الجامع المشترك الذي يوحّد الجماعة وهو الدّين، لكونه محور الأمّة الذي ترجع إليه جميع العناصر المكوّنة لها، وبالتّالي تذوب جميع الحواجز ـ الجغرافيّة، القوميّة، اللغويّة ـ التي تعيق تبليغ الرّسالة الخاتمة إلى جميع النّاس باعتبارهم أمّة الدّعوة، وترفع الحواجز بين جميع المنتمين لهذا الدّين باعتبارهم أمّة الاجابة، فهم إخوة في الدّين، يجمعهم أشرف الروابط وهو رابط العقيدة.

فالدين هو العنصر الأهمّ الذي تتمحور حوله الأمّة المسلمة لكونه الجامع المشترك، والرّكيزة الأساسيّة التي ينبني عليها اجتماعها واتّحادها، وهو الذي تقوم عليه عقيدة الولاء داخل أمّة المسلمين، ثم تأتي بعد ذلك عوامل ثانوية لتتمّم مفهوم الأمّة وترسّخه.

إنّ المفهوم الإسلامي ينظر إلى العرق على أنه سبب لتقوية اللّحمة وشدّ الأزر، ونفس الشيء بالنسبة للّغة، فهي أداة للتّواصل والتّعارف والتّقارب، ولا تشكّل أيّ حاجز أمام الوحدة والانتماء للأمّة الإسلاميّة التي ضمّت عبر تاريخها أقواما يتكلّمون لغات شتّى، ومثّلت اللّغة العربيّة لدى كل هؤلاء المرجعيّة اللغويّة لكونها لغة الوحي، وعن طريقها يُفهم الدّين، فكانت لها قدسية نابعة من مكانتها كأداة لفهم الدّين، بعيدا عن أي تعصّب أو قوميّة، كما يوضّحه حديث جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " ألا لا فضل لعربيّ على عجميّ ولا لعجميّ على عربيّ، ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتّقوى، أكرمُكم عند الله أتقاكم"[38] .

أمّا العامل الجغرافي فلم يفرّق بين المسلمين في شرق المعمورة أو غربها، بل بقيت الأمّة واحدة عبر الأزمنة وإن تناءت البلدان، وبهذا استطاع الإسلام أن يسمو بالأمّة إلى مرتبة لم

يستطع أيّ كيان قبله الوصول إليه، لأن " الأمّة الإسلاميّة لا تنسب إلى عرقها بل إلى وظيفتها ورسالتها" [39].

فالقُطريّة والحدود والفواصل لا مكان لها في مفهوم الأمّة المسلمة، لأن العقيدة تتعدّى جميع هذه الحواجز وتتغلّب على كل العثرات. " وقد دلّ الخطاب القرآني على أن المقصود بالأمّة دولة المسلمين الواحدة غير المتفرقة التي تحتوي تركيبتها على كل من اعتنق الدّين أو دخل تحت سلطانه، بمقتضى ما تأسّست عليه من مبادئ أساسية كالعدل والشّورى والمساواة". [40]

وهنا يمكننا طرح إشكاليّة مدى أهميّة الوحدة السّياسية و أثرها في تحديد مفهوم الأمّة وفق النظرة الإسلامية، وهذه الإشكالية لابد من طرحها نظرا للتمزّق الذي أصاب الأمّة الإسلامية عبر مراحل التاريخ، حيث أسهمت أحداث كثيرة متعاقبة على تفتيتها وتشتيتها، وصارت بلاد المسلمين لا تجتمع على إمام واحد بل هي في الواقع اليوم دول متفرقة قائمة على المفهوم الحداثي أو " الدّولة الحديثة".

ذهب سيّد قطب خلال تعرّضه لمفهوم الأمّة إلى التركيز على الجانب السّياسي باعتباره جانبا مهمّا لا يمكن إغفاله، خاصّة في هذا العصر الذي حدث فيه الانفصام داخل بلدان المسلمين، وصار الدّين مقتصرا على الجوانب التعبّدية أو التّاريخية أو الممارسات الشّعبية، وصُوّر على أنّه شكل من أشكال الثّقافة، دون الاهتمام بالمسألة السّياسية التي تركّز على ضرورة قيام دولة للمسلمين، تضبط شكلها ومهامها وفق منظور شرعيّ، من أجل تحقيق الشّهود الحضاري وإقامة الخلافة في الأرض، مما يؤدّي إلى ترسيخ العدل ورفع الظّلم عن الناس، وكفالة حريّتهم في تحقيق العبوديّة لله، وبسط سلطان الشّريعة.

من هذا المنظور حدّد سيّد قطب تعريفه للأمّة على أنها: " مجموعة من النّاس تدين بعقيدة واحدة وتصوّر واحد، وتدين لقيادة واحدة، وليست كما هي في المفهوم الجاهليّ القديم أو الحديث: مجموعة من النّاس التي تسكن في إقليم واحد من الأرض، وتحكمها دولة واحدة. فهذا المفهوم لا يعرفه الإسلام، إنّما هي مصطلحات الجاهليّة الحديثة" [41].

فهذا التّعريف يركز على ثلاثة أمور مهمّة بها قوام الأمّة وهي: وحدة العقيدة، ووحدة القيادة، باعتبارها نتاجا لوحدة الأمّة في جانب العقيدة، فإذا قدّر للأمّة أن تجتمع على عقيدتها فإن ذلك سيفسح المجال للاجتماع والوحدة الإسلاميّة تحت قائد واحد، فالرّسول ﷺ هو القائد، والجميع أتباع له وأنصار به يتأسّون، ولحكمه يخضعون وإلى سنّته يتحاكمون، وهذا أصل لا يمكن أن تتوحّد الأمّة بدون إدراكه والالتزام به [42].

أما الأمر الثالث فهو: وحدة التّشريع، حيث يؤكد سيد قطب على أنّ المفهوم الحديث للأمّة الذي يُتداول في حياة النّاس وواقعهم المعاصر هو مفهوم يُغيّب هذه الأسس التي تقوم عليها وحدة الأمّة، ويهمّش الدّين ولا يجعله معيارا في ربط العلاقة بين الأفراد، وإنما يركّز على مبدأ المواطنة، وإرساء القانون من أجل تحقيق المساواة بين النّاس في جميع الحقوق والواجبات وإن اختلفت ديانتهم، ومَنحهم الجنسية وحقّ الانتماء للأمّة وفق رؤية تنظيمية غربيّة تعتمد على الانضواء ضمن الإقليم الذي يخضع لحكم الدّولة فقط.

فالقضية السّياسية إذاً هي قضية غايةٌ في الأهمية إذ يرتبط بها وجود الأمّة واستمرايتها ومحافظتها على كيانها وخصوصيّها، ومن الخطأ أن تهمّش وتطرح على أنها من التّراث الذي عفا عليه الزمن. يقول محمد المبارك: " إنّ الكيان السّياسي – وإن لم يكن عاملا في إيجاد الأمّة وعنصرا من عناصر تكوينها الأساسي– متمّم لوجودها وضروريّ لبقائها واستمرارها ولحمايتها والدّفاع عنها وتمكينها من تقديم ما عندها من خير لنفسها وللإنسانية"[43]. ويقول الشيخ البشير الابراهيمي: " أما لباب السّياسة بمعناها العام عند جميع العقلاء فهو عبارة واحدة: إيجاد الأمّة، ولا توجد الأمّة إلا بتثبيت مقوماتها... والاعتزاز بقوّتها المعنوية" [44]، وهذا ما سعت إليه جمعية العلماء في الجزائر من عمل جادّ من أجل ربط الجزائر بالأمّة الإسلامية ورفض سياسة الاندماج والذوبان في منظومة الاستعمار الفكرية والسّياسية.

ومنذ أول نشأة لها في مجتمع المدينة الذي أقامه النبي ﷺ ودافع عنه هو وأصحابه، تمثّلت الأمّة الإسلامية بعقيدتها واجتمعت عليها، ثم لم يزل هذا الكيان السّياسي للأمة يتوسّع حتى بلغ المشرق والمغرب، موحَّدا تحت سلطان واحد وهو سلطان الخلافة، التي مثّلت

في أمّة المسلمين شكل الدولة باعتبارها القيادة التي تدافع عن كيان الأمّة ووجودها ضدّ الأعداء، وتحفظ وحدتها وتماسكها ولو بشكل معنوي. ومن هذا المنظور فإن " فكرة الأمّة التي تقوم على أساس عقدي ديني يضمّ شعوبا مختلفة وأقواما متعددة، لا يمكن أن تقبل بفكرة وطن محدود، فالوطن الإسلامي إن صحّ التعبير ليس محدّدا بقطعة من الأرض، وإنما هو كل مكان في الأرض وصل إليه الإسلام "[45]

وإذا كانت الأمم الحديثة بمفهومها السّياسي أو القومي قد جمعت اليوم بين أخلاط النّاس واستطاعت أن ترفع حواجز الدّين والقومية داخل نطاق الدّولة الواحدة عن طريق ترسيخ مبدأ المواطنة والمشاركة في الحقوق والواجبات، وخضوع الجميع إلى سلطة القانون الذي يساوي بين الأفراد بعيدا عن اعتبارات الإثنية والإيديولوجية، فإنها من جهة أخرى وضعت الحواجز الجغرافية التي تفصل بين مجموعات بشرية تتكلّم نفس اللغة، وتدين بنفس الدّيانة وترجع إلى نفس الأصول والقوميّات. بيْد أن الأمّة الإسلامية سعت إلى توحيد الناس لا إلى تفريقهم، واعتبرت المسلمين جماعة لها هدف مشترك هو تحقيق التوحيد، وعبادة الله تعالى في هذه الأرض ليجمعهم الله بعد ذلك جميعا دون فوارق في مستقر رحمته في جنّة الرّضوان، فهذه هي النّظرة الشّاملة لقضية الوجود الإنساني على الأرض الذي يسعى إلى إقامة خلافة الإنسان بما يحقق السّعادة للبشر في الدّنيا والآخرة. وبهذا تعتبر الأمّة الإسلاميّة تجربة " متميزة فريدة في تاريخ مسار الوعي الإنساني، إذ استطاعت بحقّ أن ترتفع بالجماعة الإسلاميّة إلى مستوى سامق لم تعرفه البشرية من قبل، حيث تجاوزت أواصر الدّم والعرق واللّغة... إلخ"[46].

وبهذا التمازج والتعايش الذي يقوم على وحدة التوجّه نحو عبوديّة الله تعالى، ومحوريّة الوحي في تحديد مسارات الأمّة المسلمة واختياراتها السّياسية وعلاقتها بالآخرين، يتشكّل المفهوم الحضاري والوجودي والتاريخي للأمة الإسلامية، فمن خلال الأحداث والمراحل التي مرّت على المسلمين، ومن خلال الشّخصيات التي أسهمت في بناء أمجاد الأمّة، اكتسبت هذه الأخيرة عبر مرور السّنين تاريخا مشتركا وشهودا حضاريّا كفيلا بأن يصنع للأمّة إرثا

تتركه للأجيال الموالية ليكون محفّزا لها على تجاوز الأزمات والشّعور بالفخر والاعتزاز، باعتبار أنّ " للتّاريخ أثرا كبيرا في صياغة أجيال الأمّة، حيث تأخذ من أمجادها الماضية حافزا لصنع أمجاد جديدة، وتحاول أن تتجنّب الأخطاء التّاريخية التي ربما وقع فيها أسلافهم"[47].

" وصفوة القول هنا أن الخطاب الإسلامي المعاصر في فهمه لظاهرة الأمّة يربط المسألة ـ أي مكونات الأمّة ـ بالوحدة السّياسية، لأنه يرى أنه من التناقض المعيب أن تكون الأمّة واحدة في حقيقة تكوينها ـ من المعتقد إلى التشريع إلى السلوك ـ ثم لا تكون واحدة بعد ذلك على الصّعيد السّياسي، وإن كان الصّعيد السّياسي الواحد لا يعني ـ لدى تيارات وأقطاب الخطاب الإسلامي المعاصر ـ سلطة مركزية واحدة، أو خلافة جامعة على النحو أو الصورة المعروفة في بعض مراحل تاريخ المسلمين،[48] إذ أنّ " المشروع السّياسي للإسلام هو تكوين الجماعة/ الأمة، فهي الإطار الوحيد الذي يمكن أن يمارس الفرد فيه شعائر الدّين كاملة. وهي المجال الوحيد لتحقيق الدّين. فالدّين لا يمكن تحقيقه خارج الجماعة الاجتماعية، وهذه حقيقة بدهية ربما يتناساها الكثيرون من الذين يعتبرون أن الدّين، خاصة الإسلام، يمكن تحقيقه على الصعيد الفردي المحض. "[49]

إنّ مفهوم الأمّة وفق هذه النظرة قد تشكّل من خلال تراكم تاريخي وثقافي وقومي بأبعاد دينيّة قيميّة وإطار سياسي حافظ على هذا الكيان عبر التّاريخ. وهذا المفهوم لا يختلف كثيرا عن المفهوم الذي اقترحه الباحث "أنتوني دي سميث" الذي يعتبر أن الأمّة هي: " مجتمع بشري له تسمية وتعريف ذاتي، يبني أفراده أساطير وذكريات ورموزا وقيما وتقاليد مشتركة، ويقطنون موطنا تاريخيا يتماهون معه، ويخلقون ثقافة عامة ومميّزة وينشرونها، ويلتزمون بأعراف وقوانين مشتركة" [50]

فالأمة على هذا الأساس تتشكل من ثلاثة عناصر رئيسية هي: الرقعة الجغرافية، ونمط العلاقات القائمة بين الأفراد، والمنطلق الإيديولوجي الذي أنتج ذلك النمط، وهذه العناصر هي التي تعطي لكل أمّة حقيقتها التي تتميّز بها عن سائر الأمم الأخرى، ويكون بها تشخيصها في الواقع وسيرورتها في التاريخ.[51]

والأمّة الإسلامية اليوم رغم وجود حدود مرسومة، فرّقت بين الشّعوب المسلمة، فإنها ما زالت قادرة على تشكيل وحدة معنوية، ولا تزال تمثّل "الأمّة الواحدة"، لأنّ وحدتها الدّينية هي التي تشكّل الرّباط الوثيق بين مختلف الشّعوب والدّول التي تشكّلت عبر مرور الأزمنة وتفاعل الظروف وكوّنت أقطارا وأمما مستقلّة. فقضيّة الحدود وأنماط الحكم الحديثة التي فرضتها الظروف على المسلمين لا يمكنها أن تقضي على وحدة الأمة الإسلاميّة، فالمسلمون يجمعهم كلُّهم رابط أسمى وهو رباط الدّين، وقد يجمع كثيرا منهم رابط الدين واللغة معا، وقد يجمع عددا أقل رابط الدين واللغة والعرق والتاريخ المشترك. يقول محمد المبارك: " فالوحدة الحاصلة في مجتمع قومي أو في أمّة من الأمم تكون موجودة وقائمة مهما يكن وضعها السّياسي قبل نشوء الدّولة وبعدها، وفي حال إلحاقها بدولة أخرى أو تحرّرها واستقلالها ذلك أنها... ناشئة عن عوامل كثيرة أهمها الثقافة والمعتقدات واللغة والتاريخ والاشتراك في أسس الحياة الأصلية المادية والمعنوية".[52]

وبالتالي فإنّ الأمّة الإسلامية اليوم تتشكّل من مجموعة من الأمم الإسلاميّة التي تُسمّى أوطانا أو دولا ذات سيادة بالمفهوم الحديث، ولا إشكال في إطلاق لفظ الأمّة على تلك الدّول حتى لو تعدّدت لغاتها أو اختلفت قوميّاتها، بل وحتى في الفترة التي سلبت منها حرّيتها واعتُدي على أراضيها من طرف الاستعمار، لأنّه من الجائز من منظور حضاري " أن نتصوّر أمّة بدون دولة، بمعنى وجود أمّة ليس مشروطا بوجود دولة، عكس الزّعم الاستعماري الذي يحاول أن يؤكّد ويثبت بأنّ شخصيّة قوميّةً لا يمكن أن تكون معتبرة إلا إذا وُجدت دولة تعبّر عنها وتنطق باسمها، فإنّ منظري الاستعمار يحاولون التغليط والتّضليل ..في محاولة الخلط بين شيئين مختلفين وهما وجود أمّة وسيادة هذه الأمة"،[53] ومن هنا حاول الفرنسيون أن يروجوا أنّ الجزائر لم تصبح أمّة إلّا بعد الاستقلال.

3. الأمة الجزائرية:

سبق لنا أن عرضنا محاولة المستعمر الفرنسي تهميش الأمّة الجزائرية عن طريق تزوير التاريخ وتغيير الحقائق وطمس الهويّة، وذلك عبر انتهاج سياسة تفريغ المحتوى ـ إن صحّ التعبير ـ وقطع البلاد عن تاريخها وماضيها، بل وعدم الاعتراف بسيادتها وإلحاقها بالمستعمر الذي يصوَّر بأنه المنقذ والمخلّص وجالب التحضر والتمدّن، حيث كتب أحدهم في سنة 1883 يقول: " نحن بصدد خلق أمّة في الجزائر، أمّة لن تكون متمدّنة بدوننا".[54] وعلى رأي كثير من المؤرّخين الفرنسيين فإنّ "الجزائر لم تعرف الاستقلال في تاريخها، ولم يكن فيها شعب واحد، ولا هي قادرة على العيش بدون وصاية أجنبية. أما سكانها فأجناس مختلفة وقبائل متنافرة متناحرة"[55]. أما بيار مونتانيون فيقول: " أنّ فحص ألفي سنة من تاريخ المغرب الأوسط يجعلنا نؤكّد عجز الشعب الجزائري عن بناء أمّة وإنشاء حضارة، لقد تساءل المؤرّخون حول ذلك فلم يجدوا أثرا للدّولة الجزائريّة، ولا لثقافة خاصّة تتميّز بمؤلّفاتها الأدبيّة وآثارها الفنيّة. إنّ تاريخ الجزائر فارغ مثل أرضها التي ليس فيها سوى آثار الآخرين"[56] . وقال رئيس الحكومة الفرنسيّة إدغار فور " أنّ الجزائر أرض فرنسية وليس هناك ولا يمكن أن يكون هناك شيئ اسمه الأمّة أو الدّولة الجزائريّة" .[57]

هذا التّزوير لحقائق التّاريخ عبر سياسات استعماريّة ممنهجة أسفر للأسف عن ظهور طبقة داخل المجتمع الجزائري أنكرت وجود الأمّة الجزائرية، وصدّقت بأنّ الجزائر هي فرنسا. يقول فرحات عباس في المرحلة التي كان فيها من دعاة الاندماج:" لو اكتشفت الأمّة الجزائرية لكنت وطنيّا دون أن أخجل من ذلك خجلي من ارتكاب الجريمة، لكنّني لن أموت من أجل الوطن الجزائري لأنّه غير موجود، إنّني لم أعثر عليه، لقد سألت التّاريخ واستنطقت الأحياء والأموات وزرت المقابر ولم أجد من يعرف ذلك"[58].

لقد أحدث هذا الكلام ضجّة كبيرة في الأوساط الثّقافية والفكريّة وحتى السّياسيّة، لأنه بيّن حجم المشكلة وأبعادَها الوجودية، حيث تمكّن الاستعمار من محو أمّة بكاملها من الوجود ـ في تصوّرات شريحة كبيرة من المثقّفين والسّياسيين وغيرهم ـ، مما أدّى بهم إلى القبول بالأمر الواقع والترحيب بسياسة الاندماج والتّجنيس باعتبارهم فرنسيّين مهضومي الحقوق.

ولم يبق هذا التصوّر محصورا في المرحلة التي امتلك فيها الاستعمار زمام الأمور، بل تعدّى ذلك إلى مرحلة ما بعد الاستقلال، حيث تبنّت كثير من النّخب السّياسية الجزائريّة المتأثّرة بالفكر الغربي هذا الطّرح، ودافعت عنه من منظور أنّ الأمّة الجزائرية انبثقت من بعد تمكّنها من تحقيق استقلالها السّياسي، وهذا يعني أنّ الجزائريّين قبل الاستقلال ما كانوا إلّا مواطنين أو رعايا فرنسيّين. حتّى وصل الأمر ببعض الوزراء في الدّولة الجزائرية بعد الاستقلال إلى أن يصرّح بغياب الأمّة الجزائريّة و اندثارها خلال حقبة الاستعمار، حيث قال أمام ممثّلي البرلمان الفرنسي: " لو كان للتّاريخ منحى مختلف لكُنّا اليوم بلدا كامل العضويّة في الاتّحاد الأوربي، ذلك لأنّنا في اللّحظة التي وُقّعت فيها معاهدة روما (وهو ميثاق المجموعة الاقتصاديّة الأوربيّة وقع عام 1959) كنّا ما نزال فرنسيين".[59]

هذه الأفكار الّتي روّجها الاستعمار لاقت مقاومة ورفضا من النّخبة الفكريّة الجزائريّة، وبشكل خاصّ من جمعيّة العلماء المسلمين، التي أخذت على عاتقها الدّفاع عن مقوّمات الأمّة الجزائرية، وحاربت الاندماج، واتّخذت شعارها المعروف: "الإسلام ديننا، والعربيّة لغتنا، والجزائر وطننا"، حيث ردّ رئيس الجمعية الشيخ عبد الحميد ابن باديس رفقة إخوانه من أعضاء الجمعية على هذه الدّعاوى والافتراءات في كتاباتهم الدوريّة في جرائد الجمعيّة، واستهجنوا هذا الانفصام الذي أصاب هؤلاء المثقّفين والسّياسيين الجزائريّين، فنجد ردّ ابن باديس قويًّا على مقال فرحات عبّاس قائلا: " إنّنا نحن فتّشنا في صحف التّاريخ وفتّشنا في الحال الحاضرة، فوجدنا الأمّة الجزائرية المسلمة متكوّنة موجودة كما تكوّنت ووجدت كل أمم الدّنيا، ولهذه الأمّة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ولها وحدتها الدّينية واللّغوية، لها ثقافتها الخاصّة وعوائدها وأخلاقها، بما فيها من حسن وقبيح، شأن كل أمّة في الدنيا. ثمّ إنّ هذه

الأمّة الجزائرية الإسلاميّة ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمّة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها، وفي دينها، لا تريد أن تندمج، ولها وطن محدود معيّن هو الوطن الجزائري بحدوده الحاليّة المعروفة". [60]

ويوضّح الشّيخ عبد الحميد ابن باديس الأسس التّي تقوم عليها الأمّة من منظور الإسلام وذلك عند دفاعه عن الأمّة الجزائرية التي يعتبرها أمّة قائمة بذاتها لم تندثر بدخول الاستعمار، وأنّها متكاملة مع غيرها من الأمم المسلمة لتكوّن الأمّة الإسلامية الكبرى التي تعرّضت لمحاولات كسرها وتحييدها فيقول الشيخ: "ولا بقاء لشعب إلا ببقاء مقوّماته ومميّزاته، كالشّأن في الأفراد. فالجنسيّة القوميّة هي مجموع تلك المقوّمات وتلك المميّزات، وهذه المقوّمات والمميّزات هي اللّغة التي يُعرب بها ويتأدّب بآدابها، والعقيدة التي يبني حياته على أساسها، والذّكريات التّاريخية التي يعيش عليها وينظر لمستقبله من خلالها والشّعور المشترك بينه وبين هذه المقوّمات والمميّزات" [61] .

كما نجد نموذجا آخر لمفكّر إسلامي يدافع عن أصالة الأمّة الجزائرية وهو وزير التّعليم الأصلي والشّؤون الدّينية مولود قاسم نايت بلقاسم، حيث يؤكّد على عراقة هذه الأمّة وتجذّرها في التاريخ فيقول: " لقد أدركنا طبعا مَن هي هذه الأمّة: إنّها الأمّة الجزائريّة المجيدة التي لا تقلّ عراقة ولا تاريخيّة ولا أصالة ولا أثالة ولا أقدميّة عن أيّة أمّة تاريخيّة عريقة أصيلة أثيلة قديمة، والقدم لله، وخاصّة تلك ـ يقصد فرنسا ـ التي تدّعي لنفسها المجد والأصالة والعراقة والأثالة والتّاريخية والأقدميّة والتّجانس والوحدة، وللجزائر المزيجَ المزركش، والغيابَ عن المسرح الدّولي، ولا تعترف لها في أحسن الأحوال إلا بالنّشأة الحديثة جدًّا أي في سنة 1962م، وكأنها برزت من العدم فجأة...كجنس تلقائي". [62]

أمّا الشيخ الفضيل الورتلاني فنجده يدافع عن وجود الأمّة الجزائرية ويردّ على مؤرّخي الاستعمار قائلا: " كانت الجزائر قبل احتلال الفرنسيين لها في سنة 1830، دولة مستقلّة غنيّة، تملك خصائص الدولة في ذلك العصر، وأهمّها العلم بالدّين والدّنيا، وفيها من الأوقاف الإسلاميّة الدّارة على العلم والدّين، ووجوه البرّ ما لا يوجد مثله في قطر إسلاميّ آخر، ومنذ تغلّب عليها هذا الاستعمار الفريد في الخبث، وهو يعمل جاهدا على قتل شخصيّتها، بالقضاء على الدّين واللّغة العربية، ...وقطع كل صلة بينها وبين الشّرق، ليتم له مسخ الأمّة الجزائرية، وإدماجها في الأمّة الفرنسية، ولكن المناعة الطّبيعية في هذه الأمّة، وتصلّبها في المحافظة على التّراث الإسلامي المقدّس، وعلى خصائصها الشّريفة دفع عنها ذلك البلاء وأنقذها من ذلك المصير".[63]

ويُعتبر التّاريخ المحفوظ من التّحريف والتّشويه أكبر شاهد على وجود الأمّة الجزائريّة وعراقتها، وأنّها كانت أمّة قائمة كغيرها من الأمم في تلك الفترة، لها جميع مقوّمات الأمّة المكتملة، وبدونه لا يمكن ردّ مقالات وشبهات المؤرّخين والمستشرقين، ولذلك كان تركيز كثير من العلماء منصبًّا في فترة الاستعمار على كتابة تاريخ الجزائر الذي حرّفته فرنسا، حيث اعتبروا ذلك من الأولويّات الّتي من خلالها يمكن الاطّلاع على الحقائق وتفنيد الادّعاءات والأباطيل، ومن هؤلاء العلماء الذين كتبوا في تاريخ الجزائر: الشّيخ مبارك الميلي، وأحمد توفيق المدني.

وبسبب تواطؤ المؤرّخين الفرنسيّين على استهداف الأمّة الجزائرية وخدمة السّياسة الاستعمارية لجأ كثير منهم إلى اعتبار الجزائر أمّة بما لها من مقومّات الأمّة، ولكنّها لم تكتمل بعد، بل اعتبروها في طور التّكوين. وهذه الرّؤية منبثقة من رؤية منحازة، ومؤسّسة على مغالطة تاريخيّة تعتبر أنّ الأمّة الجزائريّة قبل دخول الفرنسيّين لم تملك سيادتها لكونها كانت خاضعة للأتراك، وبالتالي لم تكن هناك دولة جزائريّة يمكنها أن تمثّل الأمّة وتحفظ كيانها السّياسي والاجتماعي والثّقافي، ذلك أنّ المؤرّخين الفرنسيين اعتبروا التّدخل العثماني في الجزائر نوعا من الاحتلال.

وهذا الطّرح لا يتوافق مع الحقائق التّاريخيّة، لأن " إيجاد إدارة مركزيّة واحدة، وتركيز السلطات في يد الدّيوان الذي يتولّى تعيين أو انتخاب الدّاي ، وتعامل دول أوربا وأمريكا مع هذا الدّاي، والمعاهدات المبرمة بينها وبين الجزائر، يدلّ على أنّ الجزائر قد تطوّرت في العهد التّركي إلى أن أصبحت لها دولة بالمعنى الحديث للكلمة"[64]. ويقول مولود قاسم نايت بلقاسم: " الدّولة الجزائريّة لم تكن فقط موجودة منذ القدم، دولة من بين الدّول وكسائر الدّول، بل كانت فوق ذلك دولةً عظمى، ولأمّة عظمى، تخشاها وتقدّرها وتتحبّب إليها وتتآمر ضدّها الدّول العظمى، مستعينة في ذلك عليها بالمتوسّطة بل و حتى الصّغرى."[65]

كما أنّ مؤرّخي الاستعمار يروّجون أنّ الأمّة الجزائريّة لم تستطع أن تصوغ تجانسا اجتماعيًّا، حيث كان المجتمع مقسّما بين الفئة الحاكمة من الأتراك، والرّعايا الجزائريّين لذلك لا يمكن اعتبارها أمّة مكتملة ومنسجمة. وهذه مغالطة كبيرة ردّ عليها المؤرخ الجزائري مبارك الميلي عند حديثه عن العهد العثماني قائلا: " ظلّت الجزائر في ذلك العهد محتفظة بأصناف اجتماعيّة مختلفة تذرّع بها كثير من المؤرّخين الأوربيّين واعتمدوها في فكرتهم القائلة بأّنه لم يكن هناك وجود للأمّة الجزائريّة في العهد التّركي، وأنّها كانت بصدد التّكوين، وأنّه لم يكتمل نموّها عندما احتلّ الفرنسيّون الجزائر. والغريب أنّ أولئك المؤرّخين يستعملون في مجال الحكم على الذّاتية الجزائريّة مقاييس نظريّة صارمة، يهملونها عند الحكم على تكوين الذّاتية عند الشّعوب والبلدان الأوربيّة الأخرى".[66] وهذا يبيّن أن الدّراسات الغربيّة المتعلقة بتاريخ الجزائر أكثرها دراسات غير موضوعيّة، وأنها موجّهة أساسا إلى تحقيق مكاسب استعمارية، عن طريق ضرب هويّة الشعب من أجل كسر مقاومته.

وهناك توجّهه آخر لا يخالف الفكرة التي سبق الإشارة إليها من كون الجزائر أمّة في طور التّكوين، تمثّله بعض القوى المؤيّدة للاستعمار التي تزعم أنّ نضالها السّياسي يهدف إلى تجسيد مشروع الأمّة الجزائريّة عن طريق إيجاد الدّولة التي تندمج فيها مختلف العناصر المكوّنة للمجتمع آنذاك رغم اختلاف الديانة واللّغة والعرق، وذلك ضمن مبدأ إرادة العيش المشترك، وأنّ أهمّ العناصر المكوّنة لها هم: العرب، اليهود، والأوربيون. هذا التوجّه تبنّته القوى المنادية

بالاستقلال الجزئي والتي تُحسب على التيّارات الفكريّة الفرنسيّة، وبالأخصّ "الحزب الشّيوعي الجزائري" الذي يُعتبر فرعا من الحزب الشّيوعي الفرنسي، والذي يتبنّى الأفكار التّحرّرية وفق توجّه الاشتراكيّة العالميّة، حيث " صار يرفع شعار الجمهورية الجزائرية ويدعو للنّضال من أجل تحقيق استقلالها، ويندرج ذلك في إطار إديولوجيته التي تنطلق من كون الجزائر أمّة في طور التكوين"[67]. وهنا نجد تصريح الأمين العام للحزب الشّيوعي الجزائري "بول كابليرو" paul caballero في تجمّع بمدينة سيدي بلعبّاس حيث يقول : " نريد الاستقلال الكامل للجزائر، سياسيّا اقتصاديا مع حكومتها وبرلمانها وتكوين أمّة جزائرية من مجموع سكّان هذا البلد" [68].

هذا الحزب الشّيوعي الفرنسي في نظرته لمستقبل الأمّة الجزائرية يرفض اللّغة العربيّة والإسلام، فبالنسبة إليه لا يمكن للغة الضّاد أن تكون هي اللّغة الوطنيّة لأنّ مليون أوربي يجهلها أو يتجاهلها، ولأنّها لغة القرآن. أمّا العروبة والإسلام فإنّهما صنوان للتخلّف والرّجعية.[69] ومن هذا المنطلق عارض هؤلاء الثّورة ورأوا أنّ النّضال من أجل الاستقلال لا يخوّل للجزائريين أن يموتوا من أجل أمّة لم تتأسّس بعد، "و لأنّها لم تكن موجودة من قبل، فإنّه لا يحقّ لأبنائها أن يموتوا لكي تبعث من جديد".[70]

أمّا بالنسبة لحزب الشعب الجزائري، وحركة انتصار الحريات ـ فإنها اعتبرت الجزائر أمّة قائمة بذاتها لها مقوّماتها التي تميّزها عن غيرها، ولكن تمّ تغييبها عند الاحتلال. يقول محمد العربي الزبيري: " الإمبريالية الفرنسية التي اعتدت على الأمّة الجزائرية لم تتمكّن من القضاء على هذه الأخيرة رغم نجاحها في إلغاء الدّولة الجزائرية".[71] وبالتالي فإن هذا التّيار الذي يُعرف بالتّيار الاستقلالي يرى أنّه لابدّ من النّضال من أجل استرجاع الاستقلال وإعادة بعث هذه الأمّة العريقة، وذلك عن طريق تفجير الثّورة واستعمال الأساليب العسكريّة الكفيلة بدحر المستعمر واسترجاع كيان هذه الأمّة. فالثورة والاستقلال عند هذا الاتّجاه تُعتبر من الأولويّات، أمّا الجوانب الأخرى المتعلقة بالوضع الثّقافي والاجتماعي فيمكن تأجيلها والنّظر فيها بعد تحقيق الاستقلال، وهذا التجافي عن الاهتمام بالمسائل الثّقافيّة كان سببا في ظهور

أزمات حتّى داخل الحزب نفسه، وكان لها تبعات بعيدة المدى، ونقصد هنا تحديدا الأزمة البربريّة التي عصفت بحركة انتصار الحريّات الديمقراطية في سنة 1949، والتي تتبنى قيادتها البعد الحضاري العربي الإسلامي، حيث " كان دعاة النّزعة البربريّة يلحّون على الهويّة البربريّة وينكرون في الوقت ذاته الإسهام الحضاري العربي الإسلامي متأثّرين بالأفكار التي يروّجها المنظّرون دعاة الانفصال عن العالم العربي الإسلامي، خاصّة أنّ دعاة هذه النّزعة يركّزون على عدم وجود أمّة جزائريّة وهو رأي الشّيوعيين"[72].

وهذا الطّرح يخالف الطّرح الذي تبنّته جمعية العلماء التّي رأت أنّ الأولية تكمن في محاربة السّياسة الثّقافية الفرنسيّة التي تدعو إلى تحقيق الاندماج ومحو الشّخصية الجزائرية، وأنّ المعركة الأساسيّة ترتكز على إعادة بعث مقوّمات الأمّة التي تمّ استهدافها من قبل الاحتلال، وأنه لا يمكن مواجهة الاستعمار عسكريّا دون إيجاد الشّخصيّة الجزائرية المتميّزة عن المستعمر والمتمسّكة بقيم أمّتها الأصيلة، ولذلك نجد أنّ الجمعيّة تجنّدت منذ تأسيسها لمحاربة الاندماج، وعملت عن طريق نشر التّعليم على إعادة بعث الاعتزاز بالإسلام واللّغة العربية وألهبت الروح الوطنية ممّا أسهم بشكل كبير في إنجاح الثّورة التّحريرية.

فالأمّة الجزائرية وإن تعرّضت لعمليّة تحييد أو محاولة طمس وجودها من التّاريخ، إلّا أنّ ذلك لم يكن كفيلا بأن يجعلها تابعة لفرنسا لا ثقافيًّا ولا اجتماعيًّا، كما أنّ محاولة تصويرها على أنّها أمّة في طور التّكوين كان غرضه إعادة تشكيل أسس هوّيتها، وإدخال عناصر أجنبية ومقوّمات لا ترتبط بها، تحت سياسة الإندماج أو التّكامل التي أرادت فرنسا تطبيقها، لأن " الأمّة التي لا تزال في طور التكوين والتّكامل تواجه مسألة إرادة العيش المشترك بحدّة وبشدّة لا تجدها في وضع الأمّة المكتملة نسبيًّا، لأنها تسعى إلى إظهار شخصيّة واحدة فوق الجزئيات التي فيها".[73] ولذلك فإنّ فكرة الإندماج (Assimilation) هي من الأفكار الاستعماريّة التي تهدف إلى إرساء القطيعة التّامة مع الماضي الحضاري والرّوحي واللّغوي للجزائريّين. أمّا فكرة التّكامل (Intigration) فهي فكرة مستحدثة وأقلّ تطرّفا من الأولى وجاءت كبديل عنها، وأوّل من نادى بها هو "بلوم فيوليت"، وتعني إلحاق الجزائر بفرنسا في

شكل مقاطعة، مع التمتّع بجميع الحقوق والواجبات الفرنسيّة، وفي ذات الوقت محافظة الجزائريين على بعض قيمهم الرّوحية وتقاليدهم الاجتماعيّة. وهذه الفكرة في الصّميم تفصل الدّين عن القانون، وتجعله أمرا ذاتيا بحيث يمكن أن يكون فرنسيا مسلما أو فرنسيا بلا دين"[74]

هذا التّصوّر لمفهوم الأمّة الجزائريّة الذي أرادت فرنسا فرضه يُشكّل خطرا كبيرا وتهديدا للهويّة الجزائريّة القائمة على: الدّين الإسلامي واللّغة العربية والتاريخ المشترك، حيث استطاعت هذه الأسس أن تحدث انسجاما اجتماعيّا، وجعلت الجزائريّ متميّزا عن غيره من الغزاة الوافدين، لأنّ النّزوع نحو فكرة تكوين أمّة جديدة وفق أسس لا ترتبط من قريب أو بعيد بالأسس التّي قامت عليها هويّة الأمّة الجزائريّة قبل دخول المحتلّ يُعد أوّلا انتصارا للسّياسات الفرنسيّة، التي عملت منذ البداية على طمس الإسلام والعربيّة وتشويه التّاريخ، وسعت إلى فرض هويّة جديدة للجزائريّين. كما يُعدّ ثانيا من أهمّ العوامل التي يمكنها أن تعزّز الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر بعد الاستقلال ولو في الجانب الثّقافي عن طريق تدعيم هيمنة اللّغة الفرنسية والتّضييق على اللّغة العربيّة، وذلك من خلال الإبقاء على المؤسّسات التّعليميّة الفرنسيّة وإشراك الإطارات الأجنبية في عملية التّثقيف وإعادة البناء.

أما في الجانب الاجتماعي فإن محاولة دمج العناصر الأجنبيّة من اليهود والأوربيّين في كيان الأمّة الجزائريّة، سيُسهم بشكل كبير في الإبقاء على حالة من عدم التّجانس تخدم مصالح الاستعمار و تتيح له التّدخل في شؤون الدّولة الجزائريّة المستقلّة. ومن أجل تحقيق هذا عمل المفاوضون الفرنسيّون على تضمين اتّفاقيات إيفيان بعضَ المواد التي تمنح الاختيار لليهود والأوربيّين من أجل البقاء في الجزائر والاندماج ضمن الدّولة الجزائريّة الجديدة. وهذا ما لم تتمكن من تحقيقه بسبب رغبة المعمّرين الفرنسيين في ترك الجزائر والالتحاق بالبلد الأمّ خوفاً من الانتقام، وبسبب التّباين الثّقافي الذي يصعّب عمليّة الاندماج.

وفي ظل هذا الاستقلال الذي نعيشه اليوم، وفي ظل الانسجام الاجتماعي والوحدة الدّينية فإن الأمّة الجزائرية لا تحتاج منّا اليوم إلى إثبات عراقتها في التاريخ، نظرا للشّواهد الكثيرة على ذلك، بالقدر الذي تحتاج منّا أن نعرف تبعات تلك المقالات التي تنكّرت لوجود هذه الأمّة، وما ترتب على ذلك من آثار على الهويّة الجزائريّة الأصيلة، لأن محاولة قطع الحاضر عن الماضي حتما سيشكّل هوّة ثقافيّة يمكن للغزو الثّقافي من خلالها أن يُسهم في ضرب الهويّة الأصيلة والتّلاعب بها، ولذلك لابدّ من التّأكيد على الأبعاد التي تأسّست عليها الأمّة الجزائرية من أجل المحافظة على أصالتها.

ففي البعد التّاريخي لابد أن نرسّخ في الأجيال أنّ الأمّة الجزائرية كانت موجودة ضمن حدودها الجغرافية المعروفة، لأن البعد التاريخي يمثل إلهاما لهذه الأجيال الجديدة ويعطيها سببا مُقنعا للاعتزاز بهويّتها، وهذا الوجود التاريخي لا يمكن أن ينكره أيّ مؤرّخ موضوعي. يقول المؤرخ مبارك الميلي: " وهكذا نجد أنّ الجزائر كانت في 1830 تشكّل مجموعة ترابيّة واحدة، صهرتها قرون عديدة من تطوّر مشترك، ونجد أنّ كلّ المظاهر من اقتصاد وثقافة وتنظيم اجتماعي جعلت من الجزائر وحدة قائمة الذّات."[75]

أمّا فيما يخص البُعد الدّيني الذي يمثّله الإسلام فحتما لا يمكن فصل الأمّة الجزائرية عنه، لكون الإسلام عريقا فيها، ويمثّل قوّة استطاع بها الجزائريّون الصّمود في وجه الاحتلال ومواجهة سياسات التّفرقة والمسخ والتّغريب، وبقي يمثل روح المقاومة ضد مشاريع الاستعمار. هذا الإسلام الذي بقي يطبع الهويّة الجزائرية خلال قرون عديدة، وظل يمثّل المرجعية الثقافية للقطر الجزائري. يقول مبارك الميلي: " الحياة الثقافية التي تتميّز بالطابع الإسلامي هي التي تربط ربطا متينا محكما بين مختلف أصناف السّكان، وكانت تعمل عملها في صهر السّكان حتى يشعروا بانتمائهم لبلد واحد وأمّة واحدة. وعندما نتحدث عن الطّابع الإسلامي للثّقافة فليس هو المقصود المحتوى الدّيني لهذه الثّقافة فقط، ولكن المقصود هو المحتوى الحضاري بما فيه من تعليم وتنظيم ثقافي وقضائي وعلاقات اجتماعية وفكرية".[76]

ولهذا فإن تهميش الإسلام وتعطيل مشروعه الحضاري بعد الاستقلال يمثّل انحرافا عن الأسس التي قامت عليها الأمّة الجزائرية التي أبت أن تتنازل عن مقوّماتها الحضاريّة خلال مرحلة الاحتلال مثل التّعليم والقضاء والأحوال الشّخصيّة الإسلاميّة، وكان رفضُ الاندماج نابعا من التّباين السّافر بين الحضارة الغربيّة والحضارة الإسلاميّة التي تعتَبِر الدّين مقوّمًا أساسيًّا لا ثانويًّا كما يراه الحداثيّون، ولذلك فالتّوجّه نحو تبنّي المشاريع المخالفة للإسلام يعني شيئا واحدا هو التنكّر لهذا الأساس المتين الذي استطاع أن يحفظ الهويّة الجزائريّة من الذّوبان، وواجه مشاريع الإدماج. كما سيؤون هذا التنكّر للإسلام إلى إحداث صراع داخل المنظومة الفكريّة ويحدث شرخا داخل البنية الاجتماعية، كما سيولّد صراعات إيديولوجية كفيلة بإحداث الفرقة ونشر الفتنة.

وفي إطار ما يُحدثه هذا الصّراع الإيديولوجي داخليا حول المسألة الدّينية فإن ذلك سيؤول كذلك إلى إحداث قطيعة بين الأمّة الجزائرية والأمّة العربية والإسلاميّة، ذلك أنّ النّزعة المعادية للدّين تريد أن تفصل الجزائر عن بُعدها الإسلامي العالمي المرتبط أساسا بالأمّة العربيّة والإسلاميّة، وتحاول بدل ذلك أن تركّز على القطريّة المحليّة وعلى أكثر تقدير التّقوقع داخل الهوية المغاربيّة التي تمتدّ أصولها لما قبل دخول الإسلام، مع تصوير الإسلام على أنّه مجرّد ثقافة دخيلة ترتبط بأسباب تاريخية واجتماعية، ولذلك نجد كثيرا من المفكرين خاصّة من اليساريين الفرونكوفونيّين يتبنّون هذا الطّرح.

وكتتويج لتضحيات الجزائريين ونضالهم ضدّ سياسات الإدماج والذّوبان ومحاولات التفرقة العرقيّة واللّغوية أكّدت المواثيق التّأسيسية للدّولة الجزائرية على أصالة الأمّة الجزائريّة، وارتباطها الوثيق بالأمّة العربية والإسلامية ممّا يدل على فشل السّياسة الفرنسيّة في إحداث القطيعة بين الشّعب الجزائري وبين قيمه الحضارية التي جعلت من الجزائر عبر التاريخ أمّة قائمة بذاتها، حيث جاء في ميثاق 1976م: " إن الجزائر وهي جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الذي تربطها به أواصر اللّغة والدين والثقافة، وذلك التضامن الذي توطّد في الماضي، وتلك التّطلعات المشتركة لتحقيق مصير واحد، هذه الجزائر ليست كيانا حديث النّشأة، وإنّ

بعض السّمات البارزة في شخصيّتها كأمّة ترجع إلى العصور القديمة". ومما جاء فيه كذلك: " يمكن القول بأنّ هذه الفترات المختلفة من تاريخنا قد كانت البوتقة التي انصهرت فيها كلّ العناصر البشرية، وسلك الشّعب فيها سبل الأخذ والعطاء، وتفتّحت العبقرية الوطنية ممّا أدى إلى تأصيل الشخصية العربية الإسلامية".[77]

4. خاتمة:

ممّا سبق لنا تقريره يمكننا أن نردّ على هؤلاء الذين أنكروا أ وتنكّروا للأمّة الجزائرية، بأن نؤكد على مايلي:

ـ الأمّة الجزائرية أمّة عريقة لها امتدادها التّاريخي الحافل بالبطولات والشّخصيات.

ـ لها بُعدها الجغرافي الفسيح واضح المعالم.

ـ لها تركيبها السكاني المتماسك الذي تمازج عبر قرون من التّعايش.

ـ أنّها أمّة تدين بالإسلام الذي جمع بين أفرادها ووحّدهم تحت لواء العقيدة، وبذلك ألغى الفوارق العرقيّة واللّغوية بينهم.

ـ الأمة الجزائرية ورغم السّياسات الاستعمارية ظلّت باقية ضمن الإطار الواسع للأمّة العربيّة والإسلاميّة.

وبجميع هذه المقومات فإنها تكتسب حضورا قويا وتشكّل اجتماعا متماسكا يأبى أن ينكسر أو يتمزق، فضلا على أن يذوب أمام المحاولات الرّامية إلى تغريبها أو طمس مقوّمات هويّتها أو عزلها عن امتدادها المغاربي والعربي والإسلامي. ومن خلال هذه الدراسة يمكننا أن نخرج بمجموعة من التّوصيات.

التوصيات:

1 ـ ضرورة ربط الأجيال المعاصرة بماضي هذه الأمّة، وذلك من خلال تحسيس هذه الأجيال بدورها في الحفاظ على أسس الهويّة الجزائريّة ومواجهة موجات التّغريب العاتية خاصة في ظلّ الانفتاح غير المحدود على العالم الرّقمي.

2 ـ الاهتمام بتراث علماء الجزائر والتّركيز على بيان دورهم في المحافظة والدّفاع على الهويّة الإسلاميّة للأمّة الجزائرية.

3 ـ العمل على التّأكيد على البعد الحضاري العربي الإسلامي للأمّة الجزائرية ممّا يتيح لها الانسجام ضمن الأمم الإسلاميّة الأخرى ويمنحها قوة وحضورا داخل العالم العربي والإسلامي.

4 ـ الاهتمام بتدريس التاريخ الوطني بطريقة تسمح بكشف التّحريف الذي وضعه المؤرّخون الفرنسيّون لأغراض تهدف إلى ضرب أصالة الأمّة الجزائريّة.

5 ـ تشجيع الدّراسات الأكاديميّة في الكلّيات الإسلاميّة على العناية بالبحث حول موضوع الهويّة وما يتعلّق بأصول المشكلة الثّقافية في الجزائر وما أعقبها من أحداث بعد الاستقلال، وذلك من أجل دفع كثير من التّشويه والتّزوير الذي تروّجه التيارات غير الإسلاميّة.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

1 ـ ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر، 1414هـ.

2 ـ الإبراهيمي محمد البشير، آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1997.

3 ـ الزبيري محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999.

4 ـ الزين غسّان، الموسوعة الفلسفية العربية، ط1، معهد الإنماء العربي، 1986.

5 ـ الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع ، ترجمة حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

6 ـ الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، بيروت، 1412هـ.

7 ـ التهانوي محمد بن علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996.

8 ـ الصالح صبحي، الإسلام ومستقبل الحضارة، ط 1، دار الشورى، بيروت، 1982.

9 ـ الطالبي عمار، آثار ابن باديس، ط 1، الشركة الجزائرية، 1388 هـ/1968.

10 ـ الطويل يوسف، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم، ط2، صوت القلم العربي، 2010م.

11 ـ المبارك محمد: الأمة والعوامل المكونة لها، د ط، دار الفكر، دمشق، د ت ط.

12 ـ الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر.

13 ـ الورتلاني الفضيل، الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة.

14 ـ بلاسي نبيل أحمد، الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990.

15 ـ بن نعمان أحمد، الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، دار الأمة للطباعة و النشر، الجزائر.

16 ـ بن نعمان أحمد، مولود قاسم نايت بلقاسم، رمز كفاح أمة: حياته، آثاره، شهادات ومواقف، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 1993.

17 ـ حمادي عبد الله، الحركة الطلابية الجزائرية 1871 ـ 1962 مشارب ثقافية وإيديولوجية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ط 2، 1995.

18 ـ دي سميث أنتوني، الأسس الثقافية للأمم، الهرمية والعهد والجمهورية، ترجمة: صفية مختار، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2018.

19 ـ رضا محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

20 ـ عكاشة محمود، الأمة الإسلامية، ط 1، مكتبة النهضة المصرية، 2003م.

21 ـ فرحات أحمد حسن ، الأمة في دلالتها العربية والقرآنية، ط 1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، 1403هـ/1983م .

22 ـ قطب سيد، في ظلال القرآن، ط32، دار الشروق، القاهرة، 2003/1423.

23 ـ قنان جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994.

24 ـ نايت بلقاسم مولود قاسم، إنية وأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1975.

المجلات والجرائد:

25 ـ أوعامري مصطفى، الحزب الشيوعي الجزائري والمسألة الوطنية 1954/1920.، مجلة الحضارة الإسلامية، عدد 29، رمضان 1437/ جوان 2016.

26 ـ البدري توفيق، مفهوم الأمة و أوصافها في القرآن، مجلة إسلامية المعرفة، السنة24، عدد 24، 1439هـ/2018م.

27 ـ المشروع التمهيدي للميثاق الوطني، ملحق الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، طبعة خاصة، 1976.

28 ـ بن تيشة حسين و عوادي محمد، الأزمة البربرية 1949م من خلال فكر و كتابات بن يوسف بن خدّة، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث و الدراسات المتوسطية، مجلد 05، عدد 01، جانفي 2024،

29 ـ بن مصطفى جميلة، فرحات عباس من عشرينات القرن العشرين إلى خمسينياتها في زاوية الإدماج مع فرنسا إلى الاستقلال عنها، مجلة الونشريس للدراسات التاريخية، المجلد 05، العدد 2.

30 ـ جريدة الوفاق، بتاريخ: 27 فيفري 1936.

31 ـ نويري إبراهيم، مفهوم الأمة لدى طائفة من المنتمين إلى الخطاب الإسلامي، مجلة دراسات إسلامية، مركز البصيرة للبحوث، العدد 20، ماي 2014.

مواقع الأنترنت:

32 ـ جابر آدم، ماكرون يتساءل: هل كانت هناك أمة جزائرية قبل الاستعمار الفرنسي؟، القدس العربي، مجلة الكترونية، بتاريخ 2 أكتوبر 2021م. الرابط: https://share.google/uxdeM7Ewt2KJdbNRR

33 ـ رينان إرنست، ما الأمة. مقال ألقي بجامعة السربون بتاريخ 11 مارس 1882، رابط المقال. https://mjp.univ-perp.fr/textes/renan1882.htm

34 ـ جريدة الشروق الجزائرية، استياء من تصريحات مدلسي عبر شبكات التواصل. الرابط: https://share.google/iDQQcAbfuKQikeNHP، بتاريخ: 2011/12/11.

35 ـ جورج صدقني، الأمة، الموسوعة العربية، الرابط: https://share.google/YadNsm9gYFYGb8xbs

36 ـ نصار ناصيف، مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ، الموقع: جامع الكتب الإسلامية.الرابط: https://ketabonline.com/ar/books/105640/read?part=1&page=82&index=30557

37 ـ مجموعة من المؤلفين، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. موقع جامع الكتب العلمية، الرابط: https://ketabonline.com/ar/books/5992/read?page=9214&part=21#p-5992-9214-8

[1] . مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص8.

[2] ـ مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع ، ترجمة: حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 13.

[3] ـ انظر فرحات عباس، مقال: فرنسا هي أنا، جريدة الوفاق، بتاريخ: 27 فيفري 1936.

4 ـ آدم جابر، ماكرون يتساءل: هل كانت هناك أمة جزائرية قبل الاستعمار الفرنسي؟، القدس العربي، مجلة الكترونية، بتاريخ 2 أكتوبر 2021م. تاريخ الاطلاع: 22/ نوفمبر 2025. الرابط:

https://share.google/uxdeM7Ewt2KJdbNRR

[5] ـ أحمد حسن فرحات، الأمة في دلالتها العربية والقرآنية، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، 1403هـ/1983م، ص 8.

[6] ـ توفيق البدري، مفهوم الأمة و أوصافها في القرآن، مجلة إسلامية المعرفة، السنة 24، عدد 24، 1439هـ/2018م، ص83.

[7] ـ ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، ط 3، بيروت، دار صادر، 1414هـ، مادة " أمم"، 26/12، 27، 28.

[8] ـ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط1، دار القلم، بيروت، 1412هـ، ص86،

[9] ـ أحمد حسن فرحات، المرجع السابق ص 14 ـ19

[10] ـ إرنست رينان، ما الأمة. مقال ألقي بجامعة السربون بتاريخ 11 مارس 1882، انظر رابط المقال.

https://mjp.univ-perp.fr/textes/renan1882.htm

[11] ـ أنتوني دي سميث، الأسس الثقافية للأمم، الهرمية والعهد والجمهورية، ترجمة: صفية مختار، مؤسسة هنداوي، 2018، ص 43.

[12] ـ المرجع نفسه، ص 44.

[13] ـ المرجع نفسه، ص42.

[14] ـ المرجع نفسه، ص 50.

[15] ـ المرجع نفسه، ص 42.

[16] . المرجع نفسه، ص 38

[17] ـ المرجع نفسه، ص 24.

[18] ـ المرجع السابق، ص 26.

[19] ـ المرجع نفسه، ص 24.

[20] ـ ناصيف نصار، مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ، المجلد 1، ص 81، موقع: جامع الكتب الإسلامية. الرابط:

https://ketabonline.com/ar/books/105640/read?part=1&page=82&index=30557

[21] ـ أنتوني دي سميث، المرجع السابق، ص27.

[22] ـ المرجع نفسه، ص 40.

[23] ـ نجده حاضرا في فكر بني إسرائيل الذي يعتبر اليهود أبناء الله، و أنهم شعب الله المختار، كما نجده في العصر الحديث في التجربة الألمانية قبل الحرب العالمية الثانية وأثناءها حيث تبنت النازية كتوجّه قومي يمجّد العرق الجرماني. وقد باءت هذه التجربة بالفشل وبيّنت أن القومية بمفهومها المتطرف لا يمكنها أن تشكل أمّة تحقّق الشهود الحضاري .

[24] ـ انظر: أنتوني دي سميث، المرجع السابق، ص26

[25] ـ إرنست رينان، المرجع السابق.

[26] . المرجع نفسه.

[27] ـ أنتوني دي سميث، المرجع السابق، ص 39.

[28] ـ المرجع نفسه، ص 35.

[29] ـ جورج صدقني، الأمّة، الموسوعة العربية، تاريخ الاطلاع: 15 نوفمبر 2025. الرابط:
https://share.google/YadNsm9gYFYGb8xbs

[30] ـ إرنست رينان، المرجع السابق.

[31] ـ أنتوني دي سميث، المرجع السابق، ص31.

[32] ـ انظر كتاب: يوسف الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم، ط2، صوت القلم العربي، 2010م، 1/ص.10/ 12/11.

[33] ـ فرحات أحمد حسن، المرجع السابق، ص 8.

[34] ـ محمد بن علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ط 1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996، 2/ 262.

[35] ـ محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، / 220.

[36] ـ سيد قطب، في ظلال القرآن، ط 32، دار الشروق، القاهرة، 2003/1423، / 117.

[37] ـ إبراهيم نويري، مفهوم الأمة لدى طائفة من المنتمين إلى الخطاب الإسلامي، مجلة دراسات إسلامية، مركز البصيرة للبحوث، العدد 20، ماي 2014، ص41.

[38] ـ أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (100/3)، والبيهقي في شعب الإيمان (5137).

[39] ـ صبحي الصالح، الإسلام ومستقبل الحضارة، ط 1، دار الشورى، بيروت، 1982، ص 313.

[40] ـ محمود عكاشة، الأمة الإسلامية، ط1، مكتبة النهضة المصرية، 2003م، ص55.

[41] ـ سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، 9/ 1385.

[42] ـ مجموعة من المؤلفين، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 21/ص260. موقع جامع الكتب العلمية، الرابط:
https://ketabonline.com/ar/books/5992/read?page=9214&part=21#p-5992-9214-8

[43] ـ محمد المبارك: الأمة والعوامل المكونة لها، دار الفكر، د ط، دمشق، د ت ط، ص 94.

[44] ـ محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1997، 3/ 64.

[45] ـ فرحات أحمد حسن، المرجع السابق، ص59.

[46] ـ إبراهيم نويري، المرجع السابق، ص 42.

[47] ـ فرحات أحمد حسن، المرجع السابق،ص61.

[48] ـ إبراهيم نويري، المرجع السابق، ص 48.

[49] ـ ناصيف نصار، المرجع السابق، المجلد 1، ص 83.

[50] ـ أنتوني دي سميث، المرجع السابق، ص 42.

[51] ـ أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، دار الأمة للطباعة و النشر، الجزائر، ص41. 42 . 67 .68

[52] ـ محمد المبارك، المرجع السابق، ص 94.

[53] ـ جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994، ص 289.

[54] ـ نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، ص 157.

[55] ـ محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، 47/2.

[56] ـ المرجع نفسه.

[57] ـ الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة، ص 417 ـ 418. منقول عن مقال لفرحات عباس في صحيفة " لاكسيون" التونسية وعربته الصباح في عدد 02. 11 ـ 1955.

[58] فرحات عباس، جريدة الوفاق، مقال بعنوان: "فرنسا هي أنا"، بتاريخ: 27 فيفري 1936.

ـ يعدّ فرحات عباس من الشخصيات السياسية البارزة في التاريخ الجزائري، والذي شهدت مسيرته النّضالية عدّة تقلبات، فكان في أول الأمر من دعاة الاندماج والمساواة، حيث أسّس سنة 1938 " الاتحاد الشعبي الجزائري " الداعي إلى التحرّر السياسي داخل الإطار الفرنسي، وبسبب التجربة التي عاشها خلال أداء خدمته العسكرية و معاناته من التمييز العنصري سلك طريقا مغايرا جعله ينتقد السياسة الاستعمارية، و يقترح إصلاحات اقتصادية وسياسية واجتماعية. وأمام تعنت الإدارة الفرنسية اتخذ طريقا أكثر راديكالية أفضى إلى تحرير بيان الشعب الجزائري في فيفري 1943م، وكانت هذه الوثيقة أول خرق لفكرة الإدماج عند فرحات عباس. ثمّ أسّس بعدها حركة " أحباب البيان والحرية" في 14 مارس 1944م، والتي كانت تهدف إلى تأسيس جمهورية جزائرية مستقلة متّحدة مع جمهورية فرنسا. ثمّ أسس حزب " الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" في أفريل سنة 1946م، الذي نصّ فيه على اعتراف فرنسا للجزائر بسيادتها والاعتراف بالعلم الوطني. أما بعد الثورة فكان أول اتصال له بها في سنة 1955، ودعمها بالمال و الدواء، وسعى عن طريق حنكته السياسية وعلاقاته مع المسؤولين الفرنسيين إلى إيجاد حل دبلماسي، لكن التعنت الفرنسي جعله يعلن اضمامه إلى الثورة من مقر جمعية العلماء في القاهرة يوم 26 أفريل 1956، وهو الأمر الذي لاقى ترحيبا كبيرا. وسبب خبرته في النضال السياسي اختير فرحات عباس ليكون رئيسا للحكومة الجزائرية المؤقتة في 19 سبتمبر 1958م. ثم انتخب كأول رئيس للمجلس التأسيس بعد الاستقلال. وبعد التهميش الذي تعرض له في عهد الرئيس بن بلة وبومدين، قلّدة الرئيس الشادلي بن جديد وسام المقاومة سنة 1984م. انظر: جميلة بن مصطفى، فرحات عباس من عشرينات القرن العشرين إلى خمسينياتها في زاوية الإدماج مع فرنسا إلى الاستقلال عنها، مجلة الونشريس للدراسات التاريخية، المجلد 05، العدد 2.

[59] جريدة الشروق الجزائرية، **مقال بعنوان:** استياء من تصريحات مدلسي عبر شبكات التواصل. بتاريخ: 2011/12/11. الرابط: https://share.google/iDQQcAbfuKQikeNHP

[60]. عمار الطالبي، آثار ابن باديس، ط1، الشركة الجزائرية، 1388 هـ/1968، 3/ 309.

[61]. محمد البشير الإبراهيمي، المرجع السابق، 352/3.

[62] ـ أحمد بن نعمان، مولود قاسم نايت بلقاسم، رمز كفاح أمة: حياته، آثاره، شهادات ومواقف، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 1993، ص 101.

[63] ـ الفضيل الورتلاني، المرجع السابق، ص192 .

[64] ـ مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 3/ 301.

[65] ـ مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1975، ص56.

[66] ـ مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، 317/3.

[67] ـ محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، 232/231/1.

68 ـ مصطفى أوعامري، الحزب الشيوعي الجزائري والمسألة الوطنية 1954/1920.، مجلة الحضارة الإسلامية، عدد 29، رمضان 1437/ جوان 2016، ص 464.

[69] ـ محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، 232/1 .

[70] ـ المرجع نفسه، 2/ 47.

[71]. المرجع نفسه، 158/1.

[72] . حسين بن تيشة ومحمّد عوادي، الأزمة البربرية 1949م من خلال فكر و كتابات بن يوسف بن خدّة، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث و الدراسات المتوسطية، مج. 05، ع. 01، جانفي 2024، ص 75.

[73] . غسّان الزين، الموسوعة الفلسفية العربية، ط1، معهد الإنماء العربي، 1986، 109/1.

[74] ـ عبد الله حمادي، الحركة الطلابية الجزائرية 1871 ـ 1962 مشارب ثقافية وإيديولوجية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ط 2، 1995، ص 88.

[75] ـ مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، 318/3.

[76] ـ المرجع نفسه، 317/3.

[77] . المشروع التمهيدي للميثاق الوطني، ملحق الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، طبعة خاصة، 1976.